نموذج ترخيص

أنا الطالب: آلاء محمود أحمد أبو عرب أمنح الجامعة الأردنيــة و/ أو من تفوضه ترخيصاً غير حصري دون مقابل بنشر و / أو استعمال و / أو اســتغلال و / أو ترجمة و / أو تصوير و / أو إعادة إنتاج بأي طريقة كانت سواء ورقية و / أو إلكترونيــة أو غير ذلك رسالة الماجستير / الدكتوراه المقدمة من قبلي وعنوانها.

الانفعالات النفسية في القصص القرآني وتصويرها الفني.

وذلك لغايات البحث العلمي و / أو التبادل مع المؤسسات التعليميــة والجامعــات و / أو لأي غاية أخرى تراها الجامعة الأردنية مناسبة، وأمنح الجامعة الحق بالترخيص للغير بجميــع أو بعض ما رخصته لها.

اسم الطالب: آلاء محمود أبو عرب

التوقيــــع:

التاريــــخ: ١/٦/٢٠١٤م

كلية الدراسات العليا

التاريـــخ: / /

نموذج رقم (ر/٣)
إقرار بالالتزام بقوانين الجامعة الأردنية وأنظمتها وتعليماتها لطلبة الماجستير

أنا الطالب: آلاء محمود أحمد ابوعون الرقم الجامعي: ٨١٠٠١٨٧

الكلية: الشريعة القسم: أصول الدين التخصص: التفسير

اقر بأنني قد التزمت بقوانين الجامعة الأردنية وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة باعداد رسائل الماجستير عندما قمت شخصياً بإعداد رسالتي بعنوان:

الانفعالات النفسية في القصص القرآني وتصويرها الفني.

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل العلمية، كما أنني أعلن بأن رسالتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية وتأسيساً على ما تقدم فانني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في الجامعة الأردنية بالغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب: التاريخ: ٢/ ٦ /٢٠١٤م

الانفعالات النفسية في القصص القرآني وتصويرها الفني

إعداد

آلاء محمود أبو عرب

المشرف

الدكتور سليمان محمد الدقور

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

أيار ، ٢٠١٤

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة / الأطروحة **(الانفعالات النفسية في القصص القرآني وتصويرها الفني)** وأجيزت بتاريخ ٢٠ / ٥ / ٢٠١٤م.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
د. سليمان محمد الدقور ، مشرفا **أستاذ مشارك ، تفسير القرآن الكريم**	....
د. جهاد محمد النصيرات ، عضوا **أستاذ مشارك ، تفسير القرآن الكريم**	....
د. عبد الله أحمد الزيوت ، عضوا **أستاذ مساعد ، تفسير القرآن الكريم**	 ....
أ. د. صلاح عبد الفتاح الخالدي، عضوا **أستاذ دكتور ، تفسير القرآن الكريم** **جامعة العلوم الإسلامية**	 ....

الإهداء

لرسول وعدنا أنه على الحوض سيلقانا محمد صلى الله عليه وسلم

لأمّة أقسم الله على خيريّتها بين الأمم إن تمسكّت بنور القرآن الكريم

لأرواح رافقتني بدعائها الطيّب وبجهدها المشكور

وصلتني بالرحمن

قرّبتني منه

في كل لحظ وحين

وإلى كل محبّ لنور القرآن وحكمته

أهدي رسالتي..

مع خالص الدعاء وأصدقه بأن يجعل الرحمن جنته مستقرنا ومأوانا جميعاً

ولأمي الرؤوم التي لطالما أهدتني نوراً وحكمة

لأبي الحنون ..

لإخواني وأختي سند روحي..

لعائلتي التي أحب وأفخر..

أهديكم حرفي هذا.. وكثير من دعاء بأن يحفظكم الرحمن لي قرة عين ومسرّة قلب دمتم لله وحده وطابت لكم الفردوس.

.. آلاء ..

شكر وتقدير

أتوجّه بالشكر والتقدير لمعلمي الفاضل الأستاذ الدكتور سليمان بن محمد الدقور
وللهيئة التدريسية بكلية الشريعة الجامعة الأردنية ولجنة مناقشة الرسالة
ولكل من ساهم بإخراج هذه الرسالة على أتمّ صورة بإذن الله .

فهرس المحتويات

الانفعالات النفسية في القصص القرآني وتصويرها الفني

إعداد

آلاء محمود أبو عرب

المشرف

الدكتور سليمان محمد الدقور

الملخــــــص

تتناول هذه الدراسة التصوير الفنيّ للانفعالات النفسية الواردة في القصص القرآني ، حيث ناقشت أهمية نظرية التصوير الفنيّ لسيد قطب رحمه الله وما تحويه من خصائص في إبراز جماليات التصوير للانفعال النفسي في القصة القرآنية ، و أثر هذا التصوير على تحديد مظاهر ومعالم الانفعال .

كما تناولت تعريف الانفعالات النفسيّة وأنواعها ومظاهرها بشكل عام ، واقتصرت الرسالة على خمس انفعالات من بين الانفعالات الواردة في القصة القرآنية وهي انفعالات: الخوف والغضب والندم والفرح والسخرية والحزن .

وقد خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج تمثلت في أن القرآن الكريم قد صوّر الانفعالات النفسية بطريقة بيّن فيها للإنسان طريق الصحة النفسية والرشاد ليحقق ما خلقه الله تعالى لأجله وهو إعمار الأرض ، وطرحت هذه الانفعالات بصور في غاية الدقة والتعبير العميق ليميز الإنسان بين الانفعالات الإيجابية وكيفية التعامل معها ، والانفعالات السلبيّة وكيفية تعديلها ومن ثمّ التخلص منها.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيرا طيباً مباركا ، حمداً يوازي نعمه وفضله ، حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه وألطاف ستره ورحمته ،نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له ، والصلاة والسلام على خير من وطىء الثرى ومن في السماء سرى ، حبيبنا وشفيعنا محمد صلى الله عليه وسلّم وبعد :

فإنّ الله تعالى خالق الإنسان في أحسن تقويم ، أودع فيه من الغرائز والحاجات ما تستقيم به حياته وينتفع به لإقامة الهدف الأسمى من وجوده على الأرض ؛ وهو تحقيق الخلافة فيها وإعمارها ، وأنزل الله تعالى على هذا الإنسان قرآناً حكيماً ، فيه من التعاليم والأوامر والقدوات العملية ما يساعد الإنسان على ضبط هذه الغرائز والحاجات ، وكل ما ينبثق عنها من انفعالات ونحوها ، ويتمّ هذا الضبط من خلال عدة وسائل ، أتناول في رسالتي هذه أحدها وهو مايعرف بالإرشاد النفسي ، وهذا الإرشاد الوارد في القرآن الكريم هو بمثابة وسيلة وقاية للأصحّاء الأسوياء يحتاجون إليه كحصن يحميهم ، ودرع يؤمنهم و يَقِي أنفسهم شرّها وطغيانها ، وهو بمثابة وسيلة علاج لمن اعتلّت نفوسهم فيقوّمها لهم ليلحقوا بالأصحاء من قبلهم ، ومن أهم الأساليب التي اتبعها القرآن الكريم في الإرشاد النّفسيّ هو أسلوب القصّة القرآنية ، وذلك من خلال تجسيد الانفعال وتصويره ، وعرضه من قبل شخوص حيّة تُحاكي الواقع الحقيقيّ الذي يعيشه الإنسان ، ولا يأتي على هيئة الأوامر أو التلقينات المجرّدة التي قد تتقبّلها النفس على مَضَض أو ترفضها ، فهذه الرسالة هي في الحقيقة محاولة لكشف هذا الإرشاد ، من خلال دراسة التصوير الفنيّ للانفعالات النفسية في قصص القرآن الكريم ، وبيان أثر هذا التصوير في تشكيل منظومة فكرية واضحة لدى الإنسان حول كل انفعال ، وتُوجِدُ لديه بوصلة توجّه انفعاله نحو المسار الصحيح الذي يجب أن يجريَ فيه ، ومن ثمّ توجهه لكيفية الالتزام بهذا المسار حتى إن تعرّض لأي مؤثرّ يقلق نفسه ويستفز توازنها .

ويمكن تحديد الإشكالية التي تقوم عليها هذه الدراسة من خلال الأسئلة التالية :

١. ما الجوانب التي ركزت عليها القصة القرآنية في إبراز الانفعال النفسي ؟
٢. بماذا تميزت التعبيرات القرآنية المتعلقة بالانفعالات النفسية ؟
٣. ما دور القصة القرآنية في تقويم الانفعالات النفسية ؟
٤. ما القيم التربوية الممكن استخلاصها من هذا المنهج القرآني ؟

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية الدراسة في أنها تعرض المنهج القرآني في تصوير الانفعالات النفسية للإنسان موضحة :

١) طبيعة الانفعالات النفسية ومظاهرها وأنواعها .علاقة نظرية التصوير الفنيّ بالانفعالات النفسية، وأثرها في تيسير تشكيل قاعدة واضحة للإرشاد النفسي القرآني المتعلق بضبط الانفعالات النفسية على تنوعها .

٢) المنهج القرآني لكيفية التعامل مع مثل هذه الانفعالات ، وذلك من خلال ما يشكّله التصوير الفني من انطباع داخلي لدى الإنسان ، ويمكنه هذا الانطباع من الحكم على هذا الانفعال المصوّر بأنه انفعال سلبيّ أو انفعال إيجابيّ .

٣) التعبيرات القرآنية المستخدمة في وصف هذه الانفعالات وأثرها على السلوك .

أهداف الدراسة :

١. بيان معنى الانفعالات النفسية ومظاهرها وأنواعها
٢. توضيح العلاقة بين نظرية التصوير الفني والانفعالات الواردة في القصة القرآنية.
٣. ذكر الانفعالات النفسية الواردة في القصص القرآني .
٤. تحليل الآيات القرآنية المتعلقة بهذه الانفعالات تحليلا يساهم في تشكيل قاعدة للإرشاد النفسي المعتمد على أسس إسلامية صحيحة .
٥. بيان مظاهر هذه الانفعالات وآثارها على الفرد ومجتمعه المحيط .

٦. استخلاص القيم التربوية المتعلقة بهذه الانفعالات بالاعتماد على منهج القرآن في تصويرها.

الدراسات السابقة :

١. الانفعالات النفسية لدى الأنبياء في القرآن الكريم ، إبراهيم عبد الرحيم مصطفى، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح ، كلية الدراسات العليا ، ٢٠٠٩ م .

تتكون الرسالة من تسعة فصول تتناول فيها :

** علاقة الانفعالات النفسية ببشرية الأنبياء

**علاقة انفعالاتهم النفسية بالعصمة .

** ثم تطرح الرسالة عرضا موضوعيا لانفعالات الغضب والندم واليأس والسرور والحزن من خلال جمع الآيات الكريمة المتعلقة بانفعالات الأنبياء .

** تركز الرسالة على توضيح طبيعة الانفعالات النفسية للأنبياء من خلال تعريفها وبيان مظاهرها بشكل موجز مختصر وبيان آثارها

مميزات الرسالة الحالية :

** تهدف الرسالة إلى بيان كيفية تصوير الآيات القرآنية للانفعالات النفسية ، وتتناول موضوع الانفعالات النفسية الواردة في القصص القرآني بشكل كامل ولا تنحصر في جانب القصص النبوي فقط .

**كما تهدف الرسالة إلى شرح هذه الانفعالات وعرض معناها اللغوي ومن ثم الاصطلاحي والتعقيب عليها من خلال سرد الآيات الواردة تحت هذا الانفعال وبالأخص تلك الواردة في القصة القرآنية.

فمحور الدراسة الحالية هو :

أ) الانفعال النفسي بذاته لا طبيعة تعامل الأنبياء معه

ب) ما تحمله الآيات من تصويرات فنية عميقة وآثار تربوية من الممكن استنتاجها من تحليل الآيات القرآنية ؛ وهي أمور لم تتطرق لها الرسالة المذكورة سابقا .

٢ . الهدي النبوي في ضبط الانفعالات النفسية دراسة موضوعية ، بشار يوسف الزعبي ، رسالة ماجستير ،جامعة آل البيت ، كلية الشريعة ، ٢٠٠٨ م :

تطرح هذه الرسالة موضوع ضبط الانفعالات النفسية ، من خلال دراسة حديثية لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتتضمن دراسة تحليلية لبعض مواقف النبي صلى الله عليه وسلم ، وشرح لمجموعة من الأحاديث ذات الارتباط الوثيق بموضوع الرسالة .

مميزات الرسالة الحالية :

تشترك كلا الرسالتين بتناولهما لموضوع الانفعالات النفسية، إلا أنّ للأولى طابعا حديثيا مستقىً من دراسة موضوعية تحليلية لأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ، إضافة إلى أنها تركز على كيفية ضبط الانفعالات والهدي النبوي في ذلك .

أما الرسالة الحالية فهي تتطرق للآيات القرآنية ، وكل ما يتعلق بها من تفسيرات بيانية أو تربوية ، وذكر الأوجه البلاغية بالإضافة لما تمّ إيراده سابقاً من أهداف .

منهج البحث:

تقوم هذه الدراسة على :

١) المنهج الاستقرائي للآيات القرآنية المتحدثة عن انفعال : (الحزن ، الفرح ، السخرية ، الندم ، الغضب ، الخوف) الواردة في قصص القرآن الكريم .

٢) المنهج التحليلي لإعطاء صورة متكاملة عن طبيعة هذه الانفعالات وكيفية تصوير آيات القرآن الكريم لها .

٣) قد تتطرق الدراسة إلى مقارنة بعض التصويرات القرآنية المتعلقة بالانفعالات النفسية وذلك لإبراز ما تحمله الآيات القرآنية من تنوع في أساليب الخطاب وذلك بحسب الانفعال المتناول.

الهيكل التنظيمي للرسالة :

**** المقدمة**

**** الفصل الأول : القصة القرآنية والتصوير الفني : مفاهيم وصلات.**

المبحث الأول : القصة القرآنية مفهومها وأهدافها .

المبحث الثاني : التصوير الفني وعلاقته بالقصة القرآنية . وفيه مطلبين :

المطلب الأول : التصوير الفني : مفهومه وخصائصه .

المطلب الثاني : علاقة التصوير الفني بالقصة القرآنية

**** الفصل الثاني : الانفعالات النفسية " تعريفها وأقسامها ومظاهرها "**

المبحث الأول : تعريف الانفعالات النفسية .

المبحث الثاني : أقسام الانفعالات النفسية .

المبحث الثالث : مظاهر الانفعالات النفسية .

**** الفصل الثالث : الانفعالات أنواعها وتصويرها الفني في القرآن :**

المبحث الأول : الغضب وتصوير القرآن له .

المبحث الثاني : الفرح وتصوير القرآن له .

المبحث الثالث : السخرية و تصوير القرآن لها .

المبحث الرابع : الندم وتصوير القرآن له .

المبحث الخامس : الخوف وتصوير القرآن له .

المبحث السادس : الحزن وتصوير القرآن له .

**** الخاتمة :**

وفيها أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج ، ومنه بيان أثر التصوير القرآني للانفعالات النفسية على الفرد والمجتمع والقيم التربوية المستخلصة من دراسة هذا التصوير والتوصيات.

الفصل الأول : القصة القرآنية والتصوير الفني : مفاهيم وصلات .

المبحث الأول : القصة القرآنية مفهومها وأهدافها .

المبحث الثاني : التصوير الفني مفهومه وعلاقته بالقصة القرآنية : وفيه مطلبين :

المطلب الأول : التصوير الفني : مفهومه وخصائصه .

المطلب الثاني : علاقة التصوير الفني بالقصة القرآنية .

الفصل الأول : القصة القرآنية والتصوير الفني : مفاهيم وصلات .

يتناول هذا الفصل تعريف القصة القرآنية وتوضيحاً لأبرز أهدافها ، كما يشتمل على توضيح لمدى الترابط بين نظرية التصوير الفنيّ والقصة القرآنية من خلال بيان معنى هذه النظرية وذكر خصائصها .

المبحث الأول : القصة القرآنية مفهومها وأهدافها .

قال ابن فارس رحمه الله : معنى القصّة في اللغة : " من قصّ وهو أصل صحيح ، يدل على تتبع الشيء ،من ذلك قولهم: اقتصصت الأثر : إذا تتبعته . ومن ذلك اشتقاق : "القِصاص" في الجراح ، وذلك أنه يفعل به مثل ما فعله بالأول ، فكأنّه اقتص أثره ، ومن الباب : القصة والقَصَص : كل ذلك يُتَتَبَّع فيذكر ، وأما الصدر فهو القَصّ ، وهو عندنا قياس الباب ، لأنه متساوي العظام ، كأنّ كل عظمة منها يتبع الآخر.

ومن الباب : قصّ الشعر : وذلك أنك إذا قصصته فقد سوّيت بين كل شعرة وأختها فصارت الواحدة كأنها تابعة للأخرى ، مساوية لها في طريقها "[1].

وقال الراغب الأصفهاني رحمه الله : القصّ : تتبع الأثر يقال : قصَصت أثره ، والقَصص : الأثر ، قال تعالى : ﴿ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴾(سورة الكهف الآية ٦٤) ، والقَصص : الأخبار المُتَتَبَّعة ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٦٢)[2].

ومن خلال تأمل الآيات المحتوية على مادة (قصص) في القرآن الكريم نجد أنها وردت بالمعاني اللغوية التالية : "

---

١) ابن فارس ، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١ م ، صفحة ٨٢٦

٢) الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، (٥٢٢/٢)

١) بمعنى الأمر والحديث والخبر المتتبع: ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ (سورة آل عمران الآية ٦٢) وقوله تعالى: ﴿ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ ﴾ (سورة القصص الآية ٢٥)، ﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ﴾ (سورة الأعراف الآية ٧) .

٢) المتابعة والتتبع للأثر :ومنه قوله تعالى : ﴿ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ (سورة الكهف الآية ٦٤)[٣].

معنى القصة اصطلاحاً :

يقول الدكتور محمد حجازي : " فالاشتقاق اللغوي للقصة يفيد أنها كشف عن آثار مضت، وتنقيب عن أحداث نسيها الناس، أو غفلوا عنها، وغاية ما يُراد من ذلك هو إعادة عرضها من جديد؛ لتذكير الناس بها ولفتهم إليها، لتكون العبرة والعظة "[٤] .

وعرّف الإمام محمد ابن عاشور القصة القرآنية بأنها: "الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها، فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن نزوله قصصاً مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم"[٥] .

وعرّف عبد الكريم الخطيب القصة على أنها : "عرض لأحداث تاريخيّة مضى بها الزمن، وهي وثيقة تاريخية من أوثق ما بين يدي التاريخ من وثائق ، فيما جاء فيه من أشخاص وأحداث، وما يتصل بالأشخاص والأحداث من أمكنة وأزمنة " [٦].

---

٣) الدقور ، سليمان بن محمد ، القصص القرآني أهدافه وخصائصه ومنهجه ، دار الفضيلة ، عمّان ، ط١ ، ٢٠٠٧ م ، ص١٦ بتصرف.

٤) حجازي ، محمد محمود حجازي ، الوحدة الموضوعية في القرآن ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٧٠ ، ص٢٨٩.

٥) ابن عاشور ، محمد الطاهر ، تفسير التحرير والتنوير ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، ١٩٩٧ ، ج١ ، ص ٦٤ .

٦) الخطيب ، عبد الكريم ، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،١٩٧٤، ص ٣٩.

وبناء على التعريفات السابقة يتضح أنّ مصطلح القصص القرآني لا يقتصر على رواية أخبار الأنبياء عليهم السلام ، بل هو ذكر الأخبار المتتبعة وروايتها كما وقعت للسابقين بحيث يشمل جميع ما وَرَد من القصص كقصة أهل الكهف وذي القرنين ونحو ذلك في القرآن الكريم.

أهداف القصة القرآنية :

تحوي القصة القرآنية العديد من الأهداف الجليلة المندرجة تحت غاية القرآن الكبرى حيث عالجت أحداثها وشخصياتها أهم المبادئ التي جاء لأجلها القرآن الكريم ، وقد جمع الدكتور سليمان الدقور في كتابه : " القصص القرآني : أهدافه وخصائصه ومنهجه " غالب الأهداف المذكورة في الكتب المتعلقة بالقصص القرآني للعلماء ، وزاد عليها وأعاد ترتيبها وتنظيمها لتغدو أهداف القصة القرآنية مندرجة تحت أربعة أبواب رئيسية أذكرها باختصار :

١) **الباب الأول : أهداف ذكرها القرآن الكريم بشكل صريح نصّت عليه الآيات الكريمة وهي:**

أ) الدعوة إلى التفكر بشحذ العقول والأفكار : فالله تعالى يأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقصّ القصص على الناس لعلهم يتفكرون: ﴿ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (سورة الأعراف الآية ١٧٦).

ب) تحقيق العبرة والعظة: قال تعالى : ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ (سورة يوسف الآية ١١١) .

ج) تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلّم : قال الله تعالى : ﴿ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (سورة هود الآية ١٢٠).

٢) **الباب الثاني : أهداف متعلقة بالعقيدة الإسلامية :**

تمثّلت في القصة القرآنية أهم مواضيع العقيدة الواردة في القرآن الكريم بشكل عام وهي:

أ) الدعوة إلى توحيد الله تعالى والقضاء على كل مظاهر الشرك : فقد جاء في هذه القصص تقرير الإيمان بالله تعالى وتوحيده ، ووجوب إخلاص العمل له، وقُبح

الشرك وسوء عاقبته قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾(سورة النحل الآية ٣٦).

ب) بيان وحدة الدين الذي أرسل الله تعالى به الرسل وبعث به الأنبياء ، فالمتأمل لحال الأنبياء يجدهم جميعاً يؤكدون أنّ الدين عند الله تعالى هو الإسلام .

ج) بيان الهدف من خلق الإنسان ، وهو عبادة الله تعالى وإفراده بالعبودية: فقد أكّدت دعوة الأنبياء إلى أقوامهم هذا الأمر ، وتناولته بعبارة واضحة واحدة جرت على لسان كل نبيّ ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾(سورة النحل الآية ٣٦)، وهذا نبينا نوح عليه السلام يقول عنه تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ (سورة المؤمنون ٢٣).

وعن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة العنكبوت الآية ١٦) وعن هود عليه السلام: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ (سورة هود الآية : ٥٠) وهكذا الأمر مع بقية الأنبياء عليهم السلام.

د) إعطاء نماذج واقعيّة في سبيل التأكيد على قضية التضحية من أجل العقيدة .

الباب الثالث : أهداف متعلقة في جانب الدفاع عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الأنبياء ورسالاتهم :

إنّ المجال الأكبر للقصص القرآني تمثّل في بيان الأحداث الحقيقية والوقائع التاريخية للأنبياء مع أقوامهم ، وتصحيح الكثير من الأخطاء التي تناقلها الناس بشكل عام وأهل الكتاب بشكل خاص، وبيان نعم الله تعالى على أنبيائه ، ومن الأهداف التي يمثّلها هذا الجانب :

أ) بيان صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بثبوت رسالته ، وأن القرآن من عند الله تعالى: وقد جاء القرآن الكريم بآيات صريحة في أثناء الحديث عن القصص ليؤكد حقيقة صدق الرسول صلى الله عليه وسلّم ومثال ذلك ما جاء قبل أحداث قصة النبي يوسف عليه السلام : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴾ (سورة يوسف الآية ٣).

ب) التسرية عن النبي صلى الله عليه وسلم : بما تعطيه القصص من نماذج واقعية لسالكي طريق الدعوة إلى الله وما يجب عليهم من لزوم هذه الطريق وتحمّل مشاقها والصبر على الأذى فيها ، قال تعالى : ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَـٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة هود الآية ١٢٠) . وقال تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (سورة هود الآية ٤٩).

ج) بيان نعم الله تعالى على الأنبياء عليهم السلام [٧].

د) بيان أنّ عاقبة الأنبياء والدعاة النصر والتمكين، وأنّ عاقبة المكذبين الهلاك والعذاب المبين: يقول سيد قطب رحمه الله تعالى : "وكان من أغراض القصة أن الله تعالى ينصر

---

٧) الدقور ، سلميان محمد ، القصص القرآني : أهدافه وخصائصه ومنهجه ، دار الفضيلة ، عمّان ،ط١، ٢٠٠٧م ، بتصرّف ، صفحة (٢٨-٥٦) .

أنبياءه ويُهلك المكذّبين وذلك تثبيتاً للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتأثيراً في نفوس من يدعوهم للإيمان وتبعاً لهذا الغرض كانت ترد قصص الأنبياء مجتمعة مختومة بمصارع من كذّبوهم"[٨].

٣) **" الباب الرابع : أهداف متعلقة بجانب الهداية العامة والإرشاد :**

أ) تهذيب النفس الإنسانية وتعديل سلوكياتها .

ب) الدعوة إلى الخير وحسن الأخلاق والمعاملة الحسنة : عن طريق القدوة العملية والزجر عن الأخلاق الذميمة وحماية الإنسان من الوقوع في الآثام ، والحض على التوبة للمسيء، وذلك بتقديم أمثلة لشخصيات تمثل جانب القدوة الإيجابية وأمثلة أخرى لشخصيات تمثل الجانب السلبي .

ج) الكشف عن مجموعة من المعارف في النفس والكون " [٩].

ولكل قصة في القرآن الكريم بالإضافة لهذه الأهداف العامة أهداف خاصة أو تفصيلية متعلقة بالقصة نفسها، ويمكن الوقوف على كل قصة بشكل منفصل في سياقها الذي يوضح أهدافها الخاصة بها، ويبين الدكتور فضل عباس رحمه الله تعالى ما تحمله القصة القرآنية من تنوع في الأهداف وتنوع في الأساليب ، ويشرح أسباب هذا التنوع : " في القرآن الكريم أكثر من شكل تعبيري من خطاب وحوار وقصة، وكلها في القرآن معجزة ببيانها وبلاغتها ، وكلها يلتقي على الأهداف المتوخاة ذاتها من التأثيرعلى عقل المتلقي وقلبه ووجدانه ، وهدايته إلى ما فيه خيره وسعادته في الدارين ، والقصّة القرآنية قصة هادفة ؛ فهي ليست حلية للنص القرآني، أو ترفاً فنيّاً، أو تأريخاً لمجرد التأريخ أو سرداً لمجرد التسلية والمتعة الفنية ، وهي وإن كانت ذات خصائص فنية راقية ، وتأثير فذّ في المتلقي، فإنها صدق لا خيال فيه، وحق لا زيف فيه ، وبما أنّ مصدر القصة القرآنية هو القرآن نفسه وهو الوحي الإلهي فالأهداف المتوخاة منها هي الأهداف ذاتها المتوخاة من أشكال التعبير الأخرى في القرآن الكريم ، غير أنّ لها تأثيراً نفسياً ووجدانيّاً ذا طابع خاص لما فيها من عرض أحداث تبث فيها الحياة ، فتعرض أمام المتلقي كما لو كانت ماثلة أمامه وإن كانت لأقوام مضوا. لم يُغفِل القرآن الكريم أيّاً من أشكال التعبير النثري التي تحقق أهدافه وغاياته السامية كالقصة والخطاب والحوار ، كما لم يُغفل أيّاً من أنماط الكلام خبراً وإنشاءً ، وأيّاً

---

٨) قطب ، سيّد ، التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، طبعة عام ٢٠٠٦

٩) القصص القرآني : أهدافه وخصائصه ومنهجه ، سليمان الدقور ، صفحة ٥٦ .

من أساليب المخاطبة ، سواء بالأمر والنهي والزجر والوعظ والترغيب والترهيب المباشر أم ببسط الحقائق بصورة مباشرة ، أم بعرض ذلك كله في شكل صورة أو مثل أو قصّة .

أما لماذا كان هذا هو الشأن فلأن البشر يختلفون في طبائعهم واستعداداتهم ، فمنهم من يتأثر بالقصة وما فيها من تأثير وجدانيّ حي ، ومنهم من تقنعه البراهين والحجج العقلية ، ومنهم من يتأثر بالترغيب والترهيب ، لذا يأتي الحث على فضيلة معينة أو النهي عن رذيلة معينة في أكثر من قالب تعبيري ، وقد ترد هذه القوالب التعبيرية مستقلاً بعضها عن الآخر" [١٠].

ومما سبق نستنتج أنّ خضوع القصة القرآنية لهذه الأغراض لم يَحُل أبداً دون اتسامها بأعلى درجات الرقي التعبيري وحُسن النّظم ، بل إنّ تناغم الأمرين معاً أي : سموّ التعبير وسمو الغرض أوجد للقصة تميّزاً، لا يدانيه أي نظم قصصي ؛ فالقصة القرآنية توجّه عاطفة الإنسان لأسمى درجات الإحساس بالتركيب وتوجّه نفسيته لأسمى درجات الإحساس بالانفعال ، ومدى إيجابيّته، فوجوب اتباعه أو سلبيّته فوجوب التخلّي عنه ، وقد كانت الأداة الأمثل لإظهار مثل هذه الانفعالات بصورة كاملة كانت وسيلة : **" التصوير الفني ".**

---

١٠) عباس، فضل حسن، قصص القرآن الكريم، دار النفائس. عمان، الأردن الطبعة الثالثة ، ٢٠١٠ ، صفحة ٤٣-٤٤ بتصرف يسير .

المبحث الثاني : التصوير الفني مفهومه وعلاقته بالقصة القرآنية

المطلب الأول : التصوير الفني : مفهومه وخصائصه

تحوي القصص القرآنية العديد من الصور والتعبيرات الحافلة بالحركة والحياة بما يتناسب مع موضوعها ومرادها ، ولعل الرائد في تناول موضوع التّصويرات الفنيّة في القرآن الكريم والمؤصّل لها هو سيّد قطب - رحمه الله - في كتابه : التصوير الفني في القرآن [١١] الذي بدوره اعتبر التصوير الفني" قاعدة للتعبير القرآني " ؛ إذ لا يمكن للمرء إدراك حلاوة النص القرآني أو فهمه فهماً عميقاً متدبّراً دون التعريج عليها، واعتبر النقّاد سيد قطب رحمه الله الشارح الأكثر تميزا في نظرية التصوير الفني وأورد الدكتور صلاح الخالدي حفظه الله في كتابه " نظرية التصوير الفني عند سيد قطب رحمه الله " [١٢] عدداً من مقالات العلماء حول جهود سيد قطب رحمه الله، " قال محمد رجب البيومي : إنّ كتاب التصوير الفني هو تسجيل فريد وليس مجرد تأليف كأي تأليف آخر، وإنّ سيد قطب هو صاحب المفتاح الجمالي، وقال علي الطنطاوي: وجدتُ كتاب التصوير فتحاً من الله عظيماً وكأنّ الله ادخر مفتاحه لسيد قطب فلم يعطه أحداً قبله " [١٣].

---

١١) قطب ، سيّد ، التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، طبعة عام ٢٠٠٦.

١٢) الخالدي ، صلاح عبد الفتاح ، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، دار الفرقان ، عمّان ، طبعة ١، عام ١٩٨٣م .

١٣) المصدر السابق ، صفحة ٥ .

تعريف التصوير الفني :

هي نظرية اكتشفها سيد قطب رحمه الله ، تهدف إلى إبراز جمالية البيان القرآني ، وتقوم على أنّ "القرآن الكريم استخدم طريقة التصوير الفني كأداة في التعبير ، وجعلها الأداة المفضلة في أسلوبه ،فهو يعبّر بالصورة المحسّة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية والحادث المحسوس والمشهد المنظور وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ، ثمّ يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة، فهو تصوير باللون وتصوير بالحركة وتصوير بالتخييل، كما أنه تصوير بالنغمة، وهو تصوير حيّ منتزع من عالم الأحياء، لا ألوان مجرّدة وخطوط جامدة، تصوير تُقاس الأبعاد فيه والمسافات بالمشاعر والوجدانات؛ فالمعاني تُرْسَم وهي تتفاعل في نفوس آدميّة حيّة ، أو في مشاهدَ من الطبيعة تخلع عليها الحياة وكثيراً ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات بإبراز صورة من الصور"[١٤].

فالتصوير الفني في القصة القرآنية مذهب للبيان ومنهج للعرض، بما يكشف المراد من النص بأفصح لفظ وأبلغ تعبير، مما يمنح شخصيات القصة الحياة ويبعث بمتلقيها القدرة على تمثّل الشخصيات كأنموذج حيّ متحرّك بإمكانهم الاقتداء به .

ومما يترتب على هذه النظرية، أنّ التناسق الصوتي في التعبير القرآني ما كان لزيادة جمالية النص وحسب؛ بل هو ضروري أيضاً لتصوير الانفعالات النفسية؛ لأنّ التعبير القرآني مطروح بلغةٍ تصويرية تحاكي الفطرة الإنسانية التي تتجاوب مع التناسق الصوتيّ، وتأنس به أكثر من اللغة العادية؛ حيث تشمل بعض التراكيب إيقاعات صوتيّة وصفات حروف تمثّل الموقف النفسي ، وتصفه وصفاً دقيقاً، الأمر الذي يعزّز بدوره تصوير الانفعالات النفسية بشكل كبير .

خصائص التصوير الفني في القرآن :

إنّ التصوير الفني لدى سيد قطب له خصائصه وطرقه وألوانه ، وهذه الخصائص بحسب ما أوردها الدكتور صلاح الخالدي حفظه الله في كتابه"نظرية التصوير الفني عند سيد قطب" هي:

١) خاصيّة التخييل الحسّي : " التخييل الحسّي هو القاعدة الأولى التي يقوم عليها التصوير الفني،وهو الخصيصة الأولى من خصائصه الواضحة، والسمة الأولى من سماته الظاهرة، فالقرآن يعبّر بالصورة المحسّة المتخيلة عن مختلف الأغراض ، وتدخل هذه الصور للخيال عن طريق الحس والوجدان وتثير في النفس شتى الانفعالات والأحاسيس

---

١٤) التصوير الفني ، سيد قطب ، صفحة (٣٧-٣٨) بتصرف .

والتأثيرات ، وعندما يكون الخيال نشيطاً خصباً يكون اكتشافه للصور الفنية أدق وتذوقه لها أتمّ وبيانه لها أوضح.

وإذا كان التخييل الحسّي قاعدة للتصوير الفنّي فإنه موجود في أغلب الصور الفنية في القرآن الكريم وقد كان سيد قطب رحمه الله موفقاً في اكتشافه للصور الفنيّة في القرآن الكريم وموفقاً في إدراكه للحركة التخييلية السريعة التي تنبض بها الصور وموفقاً مرة ثالثة في عرض هذه الحركة التخييلية بأسلوب البليغ وبيانه الرائع، والأمثلة على التخييل الحسّي هي كل الآيات التي تحوي التصوير الفني في القرآن، ومنها ما ورد في سورة مريم : ﴿ وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾ (سورة مريم الآية ٤) فإن هذه الصورة تثير في الخيال

حركة تخييلية سريعة هي حركة الاشتعال ، التي تتناول الرأس في لحظة ، وهي حركة جميلة تلامس الحس وتثير الخيال وتُشرك النظر والمخيّلة في تذوّق ما فيها من جمال ، إنّ جمالها يتجلّى في أنّها منحت حركة الاشتعال للرأس وليست له في الحقيقة ففي التعبير بالاشتعال عن الشيب جمال ، وفي إسناد الاشتعال إلى الرأس جمال آخر ، يكمّل إحداهما الآخر " [١٥]

وللتخييل الحسّي الموجود في الصور الفنيّة في القرآن الكريم ألوان هي :

أ- التخييل بالتشخيص : " وهو خلع الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية ، هذه الحياة التي قد ترتقي فتصبح حياة إنسانية ، وتشمل المواد والظواهر والانفعالات وتَهَب لهذه الأشياء كلها عواطف آدمية وخلجات إنسانية ".[١٦]

ب- التخييل بتوقع الحركة التالية : " بعض الصور الفنية في القرآن الكريم ترسم عدّة صور متحركة لحالة أو معنى من المعاني أو غرض من الأغراض ويذهب الحسّ والخيال مع هذه الحركات المصوّرة ولكنّ القرآن لا يصوّر الحركات كلّها دائماً ؛ وإنما يترك الحركة الأخيرة حيث يقف التعبير على الحركة التي قبلها ، وهنا يعمل حسّ القارئ أو المستمع وخياله عمله ، إذ يتخيّل هذه الحركة ويتوقع حصولها في كل لحظة ، ويبني نتائج لهذا التوقع المتخيّل ويتملّى ما فيها من جمال ، ويتذوق ما فيها من فن ، والأمثلة على هذا اللون كثيرة في القرآن الكريم ، فمنها قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ

---

١٥) نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، صلاح الخالدي ، صفحة (١٣١ – ١٣٤) بتصرف يسير

١٦) التصوير الفني ، سيد قطب ، صفحة ٧١

ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ (سورة الحج الآية ١١)، والخيال يتملّى منظر هذا العابد على الحرف وهو يتأرجح يميناً ويساراً ويتوقع سقوطه عن هذا الحرف في أية لحظة، ويرسم في خياله صورة ما لوقوعه ، هذا الوقوع المتخيل تركته الصورة القرآنية للخيال " [١٧].

ج- " حركة متخيّلة أنشأها التعبير : تتكون الصورة القرآنية من ألفاظ ، تُبنى عليها هذه الصورة أو جزء من أجزائها ، وبعض هذه الألفاظ يُلقي في نفس القارئ وحسّه وخياله حركة متخيلة ، وهذه الحركة لا تَردُ على الخيال لولاه ، إذ يكون في تركيب هذا اللفظ ودلالته ما يستدعيها ، من ذلك قوله تعالى :﴿ وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ﴾ (سورة الفرقان الآية ٢٣) فالآن تلفتنا فيها لفظة قدمنا ذلك أنها تخيّل للحس حركة القدوم التي سبقت نثر العمل كالهباء ، وهذا التخييل يتوارى بكل تأكيد لو قيل " وجعلنا عملهم هباء منثوراً " حيث كانت تنفرد حركة النثر وحركة الهباء دون الحركة التي تسبقها وهي "حركة القدوم" .

د- الحركة السريعة المتخيّلة : يترك التعبير القرآني المجال للخيال أحياناً ليتمثّل حركات سـريعــة متتابعة متخيّلة يكمل بها ملامح الصور ويتممها ، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ﴾ (سورة الحج الآية ٣١)، ويُتخيّل صورة هوي هذا المشرك من السماء، ويتابعه وهو يهوي في حركات سريعة متتابعة ، يهوي من شاهق "خرّ من السماء" ثمّ وفي لمح البصر يتمزّق "فتخطفه الطير" أو تقذفه الريح في هوّة سحيقة بعيداً عن الأنظار،ومما ساعد على التخيل السريع عنف هذا المشهد وتعاقب الحركات وتواليها في اللفظ إذ عطف الألفاظ على بعضها بالفاء ، مما ساعد على سرعة الاختفاء .

---

١٧) نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، صلاح الخالدي ، صفحة ١٤٠ .

هـ- حركة الساكن : إنّ التعبير القرآني ينبض بالحياة والحركة ، فما إن يمسّ الساكن أو ما شأنه السكون حتى تدبّ فيه الحياة، فينتفض حيّاً متحركاً ، وتَخيّلُ هذا الشيء الساكن في الطبيعة حيّاً متحركاً عن طريق الحس والخيال ، يملأ النفس شعوراً بالجمال، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ (سورة القمر الآية ١٢) فإنّ الأرض الساكنة الهامدة انتفضت فيها الحياة والحركة وإذا بها تتفجّر كلها عيوناً تجري لتلتقي مع الماء المنهمر النازل من السماء .

٢) خاصية التجسيم الفني : هو السمة الثانية من سمات التصوير في القرآن الكريم والخصيصة الثانية من خصائصه، والتجسيم بمعناه الفني هو : أن يتخيّل الأديب الفنان للأمر المعنوي أو العرض صورة معينة يرسمها في ذهنه ويصير هذا الأمر في خياله جسماً ، على وجه التشبيه والتمثيل والاستعارة ، ومن أدوات التجسيم : الاستعارة والكناية والتشبيه والتشبيه التمثيلي .

جعل سيد قطب التجسيم سمة للتصوير ، وكان يقصد معناها الفني : وهو تجسيم المعنويات المجردة وإبرازها في أجسام محسوسة ، ولم يقصد معناها الديني بحال ، ويقسّم التجسيم الفني في القرآن الكريم إلى نوعين :

أ) النوع الأول : تجسيم من قبيل تشبيه الأمر المعنوي المجرد بأمر محسوس مجسم ، على وجه التشبيه والتمثيل ، وهو كثير الوقوع في الآيات التصويرية في القرآن الكريم ، ومنه كل التشبيهات الفنية القرآنية التي جيء بها لإحالة المعاني والحالات صوراً وهيئات ، ومن الأمثلة عليه قوله تعالى :

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ (سورة إبراهيم الآية ١٨) ،

فأعمال الكفّار هنا - وهي أمور معنوية - مصوّرة في صورة حسيّة مجسّمة ، حيث تحوّلت إلى كومة رماد ، اشتدت بها الرياح فذهبت بدداً ، والذي دلّ على أنّه تجسيم من قبيل التشبيه والتمثيل أداتا التشبيه (مثل) و (الكاف) ، ونظير الآية السابقة قوله تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا

وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾(سورة النور الآية ٣٩) تحوّلت صورة أعمالهم المعنوية هنا إلى سراب مجسّم بقيعة يراه الرّائي ماء، ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٦٤)

الإنفاق رئاء الناس وهو الأمر المعنوي ، تحوّل في هذه الصورة القرآنية إلى أمر حسّي مجسّم بالتشبيه والتمثيل وهو حجر أملس مغطّى بطبقة من التراب، فأصابه وابل من المطر، فأخذ ما كان يستره من التراب ، وتركه مكشوفاً بصلادته وقساوته وجدبه .

ومنه الصورة المقابلة صورة من ينفق ماله في سبيل الله : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾(سورة البقرة الآية ٢٦٥) الإنفاق هنا تحوّل باختلاف النية والباعث إلى صورة مجسّمة مختلفة ، وهي جنّة برأس جبل يصيبها الوابل من المطر ، فتضاعف ثمرها فإن لم يكن هناك مطر ، فلا أقل من الندى يبللها في الصباح لتعطي ثماراً يانعة لذيذة .

ب) النوع الثاني : تجسيم المعنويات على وجه التصيير والتحويل : لئن كان البلاغيون القدماء هم الذين بيّنوا النوع الأول من التجسيم وهو تشبيه المعنوي بالمحسوس مع أنهم سمّوه تشبيهاً وليس تجسيماً ، فإنّ الفضل يعود إلى سيد قطب رحمه الله تعالى في اكتشافه هذا النوع من التجسيم ؛ إذ لم يفطن له أحد من قبل ، وهو أكثر صلة ، وأشد ارتباطاً بفكرة التصوير من النوع الأول .

إنّ الأمر المعنوي المجرّد هنا صار صورة حسيّة مجسّمة ، وتحوّل إلى هذه الصورة بالتخييل الحسّي، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ﴾ (سورة آل عمران الآية ٣٠).

العمل هنا صار صورة مجسّمة ومادة محسوسة، فهو إذا كان خيراً يُحضُر ويهيّأ بانتظار صاحبه وإذا كان سوءاً يُحضر كذلك ، ولكن صاحبه يتمنّى أن تفصله عنه الفواصل حتى لا يراه أو يقترب منه.

وهذا النوع من التجسيم ألوان منها :

- تجسيم الحالات النفسية المعنوية كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾(سورة غافر الآية ١٨) فالقلوب في هذه الصورة لها حركة حركة محسوسة مجسّمة ، فهي تنتقل من أماكنها المخصصة لها ، وتفارق مواضعها المعهودة إلى أن تبلغ الحناجر وتصل إليها وهي لم تنتقل إلا من شدة الضيق والضجر ، ومثله قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴾ (سورة الواقعة الآية ٨٣ ـ٨٥) الروح في هذا لمشهد التصويري المؤثر ، الروح المعنوية شيء مجسّم تتحرك في جسم المحتضر حركة محسوسة مجسّمة، تكاد تراها أعين الناظرين ، تتحرك حتى تبلغ الحلقوم .
- تجسيم الحالات العقلية المعنوية كما في قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ ﴾(سورة البقرة الآية ٧) فالحالة العقلية المعنوية هنا هي عدم استفادة بعضهم مما يسمعه من آيات القرآن فكأنّه لم يسمعها ، والصورة الفنية تضع هنا حواجز مادية مجسمة محسوسة ، تفصل بين منافذ الإدراك فيهم وبين القرآن ، هذه الحواجز المجسمة هنا أختام على القلوب فلا تفقه وعلى الأسماع ، فلا تسمع وغشاوة غليظة على الأبصار فلا تبصر .

وهذه الحواجز المادية المجسمة في صورة قرآنية أخرى أغطية على القلوب تغطيها حتى لا ينذ إليها نور الإيمان وصمم ثقيل في الآذان عطّل وظيفتها في السماع وحجاب مادي سميك محسوس بين الكفار وبين رسول الله صلى الله عليه وسلّم : ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴾(سورة فصلت الآية ٥).

٣) أن يكون الوصف حسيّاً بطبيعته ، فيختار عن الوصف هيئة تجسيمية كقوله تعالى : ﴿ يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ (سورة العنكبوت الآية ٥٥) وهو مشهد رهيب مفزع فالعذاب يحيط بهم ويأتيهم من كل جانب ، وهذه احاطة وصفية حسية ولكن التعبير القرآني عدل عنها إلى وصف مجسّم وهو غشيان العذاب من فوق ومن تحت الأرجل .

خاصية التناسق الفني : وهو السمة الثالثة من سمات التصوير الفني في القرآن الكريم، وقد عقد سيد قطب رحمه الله فصلاً مطوّلاً لبيان هذا التناسق، بألوانه العديدة ومظاهره المتنوعة ، وبدأ الفصل بإشارة سريعة إلى ألوان التناسق الفني في القرآن والتي تنبّه لها من سبقه من الباحثين ثم انتقل إلى بيان ألوان ودرجات جديدة للتناسق القرآني، هُديَ هو إليها واعتبر هذه الألوان الجديدة بمثابة قمم متدرجة ، ارتقى إليها خطوة خطوة ، واصطحب القارئ معه في رحلته لاكتشاف هذه القمم الجديدة .

يبلغ التناسق الفنّي ذروته في أسلوب القرآن ، فهو أسلوب متناسق تتناسق ، ألفاظه وجمله وتراكيبه ، وتتناسق صوره وظلاله ، وتتناسق إيقاعاته وموسيقاه ، وهذا التناسق يحسّه كل قارئ للقرآن بدرجات متفاوتة ، وكثيراً ما يعجز عن تعليل ما يجده من أثر إيقاع القرآن في نفسه وتأثيره في حسّه .

وكما بلغ التناسق الفني الذروة في أسلوب القرآن الكريم ، فقد بلغ الذروة في تصوير القرآن ، وإذا كان سيّد قطب رحمه الله قد اكتفى بإشارة سريعة لألوان من التناسق في أسلوب القرآن ، فقد وقف طويلاً أمام ألوان التناسق في التصوير القرآني لأنه لم يُشر أحد من السابقين إلى التصوير في القرآن فضلاً عن أن يتحدّث عن ألوان التناسق فيه ، وأشار سيّد قطب رحمه الله تعالى إلى ألوان هذا التناسق وهي :

أ) التنسيق في تأليف العبارات : بتخيّر الألفاظ ثم نظمها في نسق خاص .

ب) الإيقاع الموسيقي الناشئ من الألفاظ المنظومة في النسق الخاص ، والسابقون تحدّثوا عن الإيقاع الموسيقي الظاهري فقط ، ولم يجاوزوه إلى الحديث عن التعدد في الأساليب الموسيقية المتناسقة في القرآن الكريم .

جـ) النكات البلاغية التي تضمنها الأسلوب القرآني : كأن يكون التعقيب في الآية متناسباً مع سياقها ، أو يعبّر بالاسم الموصول لتكون جملة الصلة بياناً لعلّة الجزاء ، أو اختيار ألفاظ مناسبة في السياق : كأن يعبّر بلفظ (الرب) في مجال التربية ولفظ (الله) في مجال التأليه.

د) التسلسل المعنوي بين الأغراض في سياق الآيات والتناسب في الانتقال من غرض إلى آخر ، وإظهار التناسق في أغراض الآيات في السورة الواحدة ، وبيان المناسبة والربط بين الآيات ، ثم إظهار التناسب في ترتيب السور القرآنية على ما هي عليه الآن.

هـ) التناسق النفسي بين الخطوات المتدرجة في بعض النصوص ، والخطوات النفسية التي تصاحبها .

٤) خاصية الحياة الشاخصة : وهي السمة الرابعة من سمات التصوير الفنيّ في القرآن الكريم لأنّ القرآن الكريم يرسم الصورة الفنيّة أولاً ثم يرتقي بها فيمنحها الحياة الشاخصة ، فتصبح صورة حية تتحرك كالأحياء ، وهذه الحياة تراها في جميع آفاق التصوير :

سواء الصور الحسية للمعاني الذهنية أو للحالات النفسيّة أو النماذج الإنسانية أو الحوادث والمشاهد أو القصص والأمثال والجدل .

فالتصوير في القرآن الكريم تصوير حيٌّ منتزع من عالم الأحياء ، لا ألوان مجرّدة وخطوط جامدة ، تصوير تُقاس فيه الأبعاد والمسافات بالمشاعر والوجدانات ، فالمعاني تُرسم وهي تتفاعل في نفوس آدميّة حيّة ، أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة ، ولأجل هذه الحياة فإنّ الصور والمشاهد القرآنية تؤثّر تأثيرها العجيب في النفس الإنسانية ، ولا تكتفي بالتأثير في الحس الإنساني فقط وإنما تتجاوزه إلى أعماق النفس حيث تستولي عليها ، وإلى شغاف القلب حيث تتغلغل فيه ، وإلى جنبات الضمير والوجدان حيث يصحو وينشط، وهي لم تحدث هذا التأثير في الكيان البشري كله إلا لأنها انتقلت من كائن حيّ إلى كائن حيّ في وسط حيّ فتغلغلت في أعماق الضمير من خلال التعبير والتصوير ، ومثال ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ يَوۡمَ

تَرۡجُفُ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلۡجِبَالُ كَثِيبٗا مَّهِيلاً ﴾ (سورة المزمل الآية ١٤) اشتركت الجوامد - الأرض والجبال - في تصوير الهول في هذا المشهد ، فالأرض والجبال ترجف وتخاف وتتفتت وتنهار ، كما يرجف ويخاف وينهار ويتفتت أي كائنٍ حيّ ! فإذا كانت الأرض والجبال خلعت عليها الحياة واشتركت مع الأحياء في إحساسهم بالهول المرعب فرجفت ، فكيف بالناس المهازيل الضعاف وبأي حالة وكيفية يواجهون الهول ؟

ولأنّ القرآن عليٌّ حكيم ، فإنّ الذي يتعامل معه بحسّ يقظ وقلب مفتوح يستشعر هذه الحياة تدبّ في ألفاظه وتراكيبه ، وتظهر في آياته وصوره ، إنّ سيد قطب رحمه الله الذي تعامل مع القرآن الكريم بهذا الشكل، وصحبه مدة طويلة وعاش حياة مباركة في ظلاله ، استشعر هذه الحياة القرآنية وأعلن عن هذه الحياة التي لمسها بأن قال أن لكل سورة شخصية متميزة ، شخصية لها روح ، يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حيّ مميز الملامح والسمات والأنفاس .

٥) خاصية الحركة المتجددة : الحركة سمة واضحة من سمات التصوير الفني في القرآن ، وقاعدة من قواعده وخصيصة من خصائصه ، وهي ملحوظة في كل آفاق التصوير ، سواء المعنى الذهنيّ أو الحالة النفسيّة ، أو النموذج الإنساني أو القصص والامثال والحوادث والمشاهد أو غير ذلك من الآفاق.

فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة وحتى ينقلهم نقلاً إلى مسرح الحوادث الأوّل الذي وقعت فيه أو ستقع ، حيث تتوالى المناظر وتتجدد الحركات وينسى المستمع أنّ هذا كلامٌ يُتلى ، ومثلٌ يضرب ، ويتخيّل أنّه منظر يُعرض، وحادث يقع ، فهذه شخوص تروح على المسرح وتغدو ، وهذه سمات الانفعال بشتّى الوجدانات المنبعثة من الموقف المتساوقة مع الحوادث ، وهذه كلمات تتحرك بها الألسنة فتنمّ عن الأحاسيس المضمرة ، هذه الحركة تلحظ في الصور القرآنية وقد تكون حركة مضمرة أو حركة ظاهرة إلا أنّها لا تكاد تخلو منها صورة من الصور ؛ فقليل من صور القرآن هو الذي يُعرض صامتاً ساكناً لغرض فنيّ يقتضي الصمت والسكون ، أمّا أغلب الصور ففيها حركة مضمرة أو ظاهرة ، حركة يرتفع بها نبض الحياة ، وتعلو بها حرارتها ، وهذه الحركة ليست مقصورة على القصص والحوادث ولا على مشاهد القيامة ولا صور النعيم والعذاب أو صور البرهنة والجدل ، بل إنها لتُلحظ كذلك في مواضع أخرى لا يُنتظر ان تُلحظ فيها ، ومن الأمثلة على هذه الحركة المتجددة قوله تعالى : ﴿ يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ

حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ ﴾ (سورة يونس الآية ٢٢) إنّ الحركة ملحوظة في كل جزئيّة من جزئيّات هذا المشهد الحيّ ، إنّ عيونَ السامعين تَشْهَدُ القوم وهم يركبون السفينة وهي تسير بهم في البحر ، وتتحرك خلاله وتجري وسط أمواجه وأن مشاعر السامعين تتابعهم في هذه الحركة ، وإنّ قلوبهم تخفق معهم ، وبينما السفينة تتحرك وتجري بريح طيبة ، وبينما القوم في رخاء آمن ، وسرور غامر بهذه الرحلة تقع مفاجأة مهولة مرعبة ، إذ سرعان ما تتحرك الريح عاصفة حركة عنيفة قاسية .

ويستجيب الموج لهذه الحركة فيثور ثورة مفزعة ليحيط بالسفينة وأهلها من كل مكان ، فتحركت السفينة وسط الموج العاتي واضطربت بمن فيها ولاطمها الموج وشالها وحطّها ، ودار بها في حركات سريعة متجددة كالريشة الضائعة في الخضم ، وهكذا تحيا الصورة هنا وتتحرك وتموج وتضطرب ، وترتفع أنفاس الركاب والمشاهدين مع تماوج السفينة وتنخفض ، هذا مثال على الحركة المتجددة في الصور والمشاهد القرآنية ، تبدو سمة واضحة من سمات هذا التصوير ، وهذه السمات والخصائص والقواعد الخمسة تبدو واضحة في غالبية الصور القرآنية .

وإنّ من يسير مع سيد قطب رحمه الله تعالى في بيانه لهذه السمات من خلال مؤلفاته (التصوير في القرآن ،و مشاهد القيامة في القرآن ، و في ظلال القرآن) يدرك أنّه كان رائداً لهذه الفكرة حقاً ،وأنّه وقف طويلاً أمام الصور والمشاهد القرآنية ، متأمّلا مُتخيّلاً متذوّقاً فاحصاً ناقداً محللاً وأنه نتيجة لذلك وقع على كنز ثمين من فنون القرآن ووجد مفتاحه ." (١٨)

---

١٨) نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، صلاح الخالدي ، صفحة (١٤٢-١٩٦) بتصرّف .

المطلب الثاني : علاقة التصوير الفني بالقصة القرآنية :

يتجلّى التصوير الفنيّ في القصة القرآنية ويظهر بشكل واضح على أنّه غرض من أغراض التعبير القرآني ، بل وتعتبر القصة القرآنية قسم من أقسام الصور الفنية في القرآن الكريم ؛ يقول الدكتور صلاح الخالدي حفظه الله :" يقسّم سيد قطب رحمه الله الصور الفنية في القرآن الكريم إلى أربعة أقسام :

١) صور فنيّة مجردة .

٢) قصص فني تتابع فيه الصور وتتلاحق .

٣) و نوع بينهما هو الحوار يميل إلى القصة تارة وإلى الصور المجرّدة تارة .

٤) وتعبيرات فنيّة عن حالات نفسيّة ومناظر طبيعية " [١٩] وقد اكتشف سيّد قطب رحمه الله تعالى ثلاثة ألوان للتصوير في القصة هي :

" ١) لون يبدو في قوة العرض والإحياء .

٢) ولون يبدو في تخييل العواطف والانفعالات .

٣) ولون يبدو في رسم الشخصيات .

وليست هذه الألوان منفصلة ، ولكن إحداها يبرز في بعض المواقف ويظهر على اللونين الآخرين " [٢٠].

" **اللون الأول :** قوة العرض والإحياء : وهي سمة بارزة من سمات التصوير في القصة ولون ظاهر من ألوانه فيها ، فما يكاد القارئ يتلو نصوص قصة من القصص القرآنية حتى ترتسم أمام عينيه مشاهد القصة وحوادثها ومناظرها ، معروضة عرضاً فنيّاً متناسقاً قوياً ، ويذهب بخياله مع هذه المشاهد مستمتعاً مُتخيّلاً متأملاً متذوقاً، وأبطال القصة تدبّ فيهم الحياة ، ويدبّون أمام القارئ ويتحرّكون، وتظهر علامات الحياة على ملامحهم وحركاتهم وتعابيرهم ونفوسهم، ويتحركون من خلال النصوص جيئةً وذهاباً ؛ ينشطون ويفرحون ويتألمون وينامون ويستيقظون وكأنهم أمام القارئ ويظهر في معظم القصص .

---

١٩) نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، صلاح الخالدي ، صفحة ١١٣

٢٠) التصوير الفني في القرآن ، سيد قطب ، صفحة ١٩٠

اللون الثاني : تصوير العواطف والانفعالات: إنّ العواطف والانفعالات في القصص القرآني بفضل طريقة التصوير التي عرضت من خلالها بارزة واضحة ، وشاخصة منظورة ، فعندما تتلو آيات القرآن الكريم التي ترسم مشاهد قصة من القصص بحوادثها وأبطالها وشخوصها، ترى هؤلاء البشر يتحركون حركة متجددة ، ويعيشون حياة شاخصة ملموسة بفضل قوة العرض والإيحاء وترى العواطف المختلفة : عواطف الحب والكره أو الفرح والألم أو الشكر والبطر ، واضحة على ملامحهم وترى الانفعالات مرسومة مجسمة بارزة على وجوههم كانفعالات الدهشة والمفاجأة وانفعالات الغضب والرضى .

وهذا التصوير للعواطف والانفعالات واضح في معظم القصص القرآني ، وقد عرض سيد قطب رحمه الله لهذا اللون وبيّنه في قصص صاحب الجنتين وموسى عليه السلام مع العبد الصالح كما وردتا في سورة الكهف ، وفي قصة مريم مع جبريل في سورة مريم ، ونحن هنا نشير إلى بعض العواطف المصورة في قصة مريم عند ميلاد عيسى كما بينها سيد قطب :

الهزة الأولى : ها هي ذي مريم في خلوتها ، وقد انفردت عن أهلها ، واتخذت من دونهم حجاباً ، وهاهي ذي تفاجأ مفاجأة عنيفة : رجل غريب يفاجئها في خلوتها فتنتفض انتفاضة العذراء المذعورة وتستثير التقوى في نفسه.

الهزة الثانية : الرجل الغريب يصارحها مصارحة مكشوفة ، بما يخدش سمع الفتاة العذراء الخجول ، إنّه وهما في هذه الخلوة وحدهما يريد أن يهب لها غلاماً ! وتصوّر مقدار الفزع الذي يعتريها ! وها هي ذي تدافع عن عرضها في صراحة وبالألفاظ المكشوفة فالصراحة أولى ، تسأله كيف يهب لها هذا الغلام وعي لم يمسسها بشر ولم تكُ بغيّاً ، ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ (سورة مريم الآية ٢١) .

الهزة الثالثة : هذه العذراء المسكينة تحمل في بطنها جنيناً في موقف مهول مرعب ، تفكّر بأي وجه تقابل مجتمعها المؤمن ، فتعذّبها الآلام النفسية وتواجه الآلام الجسدية ، آلام الوضع وهي بكر وحيدة غريبة . وتنطق عبارات تبلغ القمة في تصوير ما تحس به من شتى الأحاسيس: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ (سورة مريم الآية ٢٣) .

الهزة الرابعة : تتمثل في المفاجأة العظمى هذه العذراء تلد طفلاً فيناديها من تحتها ويتكلم معها يمهّد لها مصاعبها .

الهزة الخامسة : انتقالها إلى قومها فبعدما اطمأنت واستراحت ، حملت وليدها وأتت به قومها فعجبوا منها وسخروا وقالوا لها على سبيل التهكم والسخرية: ﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾ (سورة مريم الآية ٢٨) ، فتشير إلى طفلها ليجيب على سؤالهم فيعجبون لموقفها هذا ، عذراء تحمل طفلاً ثم تحيلهم عليه ليكشف لهم السر !

والهزة السادسة : الطفل الوليد يتكلم ويبرئ أمه : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴾ (سورة مريم الآية ٣٠) لولا أننا جرّبنا من قبل لوثبنا على أقدامنا فزعاً ، أو لسمرنا في مواضعنا دهشاً ، أو لفغرنا افواهنا عجباً ، ولكننا جربنا فلتفض أعيننا بالدمع من التأثر .

اللون الثالث : رسم الشخصيات : شخصيات القصص القرآنية وأبطالها ، مرسومة رسماً فنيّاً متناسقاً بفضل طريقة التصوير التي عرضت من خلالها ؛ فهي شخصيات شاخصة مجسمة بشكل بارز ، وهي شخصيات حية متحركة ، واضحة الملامح بارزة السمات ،ترتسم على محياها شتى العواطف والانفعالات ، وتبرز من خلالها " نماذج إنسانية " خالدة تتجاوز حدود الشخصية المعينة إلى الشخصية النموذجية ، من هذه الشخصيات شخصية صاحب الجنتين في سورة الكهف شخصية الكافر البطر المتكبر، وشخصية صاحبه المؤمن المتوكل على الله الواثق بما عنده ، وشخصية موسى عليه السلام طالب العلم والباحث عن المعرفة ، كما هي في سورة الكهف مع أستاذه العبد الصالح الواثق بعلمه الذي آتاه الله إياه ، فهو يتصرّف عن حكمة وعلم إلهي مسبق .

وحوى القرآن العديد من آفاق التصوير الفني ، وغالبية أغراض التعبير القرآني استخدمت طريقة التصوير في التعبير عنها ، إنّ طريقة القرآن التصويرية هي التي جعلت للمعاني والأغراض والموضوعات القرآنية ، صورتها التي نراها ، ومن هذه الصورة كانت قيمتها الكبرى ، فهي في هذه الصورة غيرها في أية صورة أخرى . "[٢١].

٢١) نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، صلاح الخالدي ، صفحة (٢٣٣ - ٢٤١) بتصرف

الفصل الثاني : الانفعالات النفسية " تعريفها وأقسامها ومظاهرها "

المبحث الأول : تعريف الانفعالات النفسية ووظيفتها ومكوناتها :

المبحث الثاني : أقسام الانفعالات النفسية.

المبحث الثالث : مظاهر الانفعالات النفسية.

الفصل الثاني : الانفعالات النفسية " تعريفها وأقسامها ومظاهرها "

يتناول هذا الفصل تعريف الانفعالات النفسية ،ووظيفتها ومكوناتها ومظاهرها ، كما يحوي تفصيلاً للعوامل المؤثرة في الانفعالات ، وبيان للعلاقة بين مفهوم العصمة لدى الأنبياء وبين تشكّل الانفعالات النفسية عندهم ، كما تضمن تفصيلاً لأنواع الانفعالات النفسية والأسس التي اعتمد عليها علماء النفس ، لدى تقسيمهم لهذه الانفعالات ، واشتمل على أهم المظاهر العامة لهذه الانفعالات .

المبحث الأول : تعريف الانفعالات النفسية ووظيفتها ومكوناتها

إنّ دراسة الانفعالات النفسية وتدبّر تصوير القرآن الكريم لها بهدف تكوين مرجع إيمانيّ يُعتمد عليه لتقييم السلوك النفسيّ هو مما أمرنا الله تعالى به :﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ ﴾ (سورة الروم الآية ٨)

وتعتبر دراسة النفس والتعرف على خصائصها ومكنوناتها وطباعها من الأمور الواجبة على المسلمين؛ لأنّ هذه الدراسة تؤدي لفلاح الإنسان من خلال تزكيته لنفسه وحمايته لها، "ولما كانت الحواجز حصينة وقوية من حول النفس بحيث يتعذّر بل يستحيل أن يُفهم جوهرها وأن تخترق الحجب المضروبة حولها، كان الشيء الممكن أمامنا وأمام جميع الباحثين في النفس الإنسانية بلا استثناء أن نبحث الظواهر السلوكية الصادرة عن النفس ، وأن نحلّل هذه الظواهر تحليلاً علميّاً ، يتناول أسبابها ودوافعها ، ويتناول الانفعالات المصاحبة لها" [٢٢]

" وإنها للحظات ممتعة حقاً ، تلك التي يقضيها الإنسان ليتأمّل وجوه الخلق وسماتهم وحركاتهم وعاداتهم بعين العابد السائح الذي يجول في متحف من إبداع أحسن الخالقين ، فكيف بمن يقضي عمره كله في هذا المتاع الرفيع ، إنّ القرآن حين يمثّل هذه اللمسة يخلق الإنسان خلقاً جديداً بحسٍّ جديد ويمتّعه بحياة جديدة ، ويهبه متاعاً لا نظير له في كل ما يتصوره في الأرض

٢٢) سرسيق ، إبراهيم محمد ، النفس الإنسانية في القرآن الكريم ، مطبعة تهامة ، جدة ـ المملكة العربية السعودية ، ط١، ١٩٨١م ، صفحة ١٤.

من متاع ، وعلى هذا النحو الرفيع من التأمّل والإدراك يزيد القرآن للناس الإيمان الذي يمنح القلب البشري هذا الزاد ، وهو الذي يهيئ له هذا المتاع العلوي "[٢٣].

ويتعلق علم النفس بدراسة سلوك الإنسان في شتى مجالات تفاعله ، غير أنّ الزاوية التي يهتم بها في مجالات النشاط تقتصر على استجابته حيال مثير معين، وذلك لأنّ علم النفس يعتمد على الأسلوب العلمي في بحوثه ويهتم بدراسة الظواهر النفسية كما هي، ويبحث بعلاقة الفرد ببيئته التي يعيش فيها ورفع شأنه مع مجتمعه ، وتحسين سلوكه وسلوكهم، وهو علم يبحث في دوافع السلوك بشكل أساسي ومن ثم مناقشة مظاهر هذا السلوك وآثاره في دراسة موضوعية، الأمر الذي يساعد على تنمية واستغلال القوى والمواهب النفسيّة بما يهيئها للتكيف مع البيئة وتحسين الصحة النفسية للأفراد والمجتمعات.

كما ويُعنى علم النفس بدراسة كافة مظاهر السلوك الإنساني بجميع مراحل الحياة المتنوعة، ومن المعروف بداهة أنّ سلوك الإنسان يتسم بصفتين: صفة بدنية وصفة نفسية، لا يمكن الفصل بينهما . فالتفكير كمثال وظيفة عقلية محضة لكنه قد يترافق مع بعض الانفعالات النفسية كالخوف أو القلق أو الفرح ونحوه.

فالانفعال: مظهر من مظاهر تفاعل الإنسان مع محيطه والمؤثرات حوله ، وقد وضع العلماء العديد من التعريفات لمصطلح "الانفعال النفسي"، وقبل البحث في معنى الانفعالات وطبيعتها ومظاهرها يتوجب عليّ أن أحدد المنهج الحقيقي للمفاهيم الأساسية بمعرفة النفس؛وذلك لأنني حينما أريد التعرض لهذا الموضوع لا يمكنني الاعتماد فقط على ما نقلته العلوم الغربية القائمة بغالبها على الاجتهاد والتأويل الذاتي ، دون امتلاك بوصلة سماوية تضبط و تحكم، ولا يمكن الاعتماد على الظن: ﴿ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ (سورة النجم الآية ٢٨).

وتتضح المفاهيم النفسية الأساسية من خلال المنظور القرآني لمعرفة حقيقة النفس الإنسانية، وليس من خلال النظريات النفسية المتباينة ، كفكرة اللاشعور المحدد لسلوك الإنسان وعقله الواعي وتحكم إرادته في اليقظة مثلا، لقد اتضح أن معظم علماء النفس الغربيين لا يدرسون معرفة النفس؛ وإنما يدرسون السلوك النفسي فحسب ولهذا فإن معارفهم حول حقيقة النفس الإنسانية وأوصافها وخصائصها هي مجرد دراسة سطحية للمظاهر النفسية ، قامت على التخمينات والاجتهادات الذاتية، أما التعرف على النفس الإنسانية فيُستقى من كتاب الله تعالى ومن

---

٢٣) قطب ، سيد ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٧٤م ، ط ١، ص٣٣٨٠ ،

هدي النبوة الشريفة، وشتّان بين نبع الحكمة الإلهي وبين شطحات الفكر الذاتي، فحين قال الله تعالى ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (سورة الشمس الآيات ٨ – ١٠) ينبري بعض أصحاب مدرسة الشخصية والتحليل النفسي وعلى رأسهم فرويد ليعلنوا أنّ القانون الذي يحكم دنيا النفس هو قانون الغاب الذي يقرر" إن لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب ! "[٢٤].

ولا يخلو الأمر من وجود بعض الدراسات التي قد تقترب من مفهوم معرفة النفس وحقيقتها والتي تم وضعها من قبل علماء الغرب، فقد عالج من يعتبر رائد العقلانية في القرن السابع عشر العالم "رينيه ديكارت" موضوع الانفعالات بكتابه "رسالة في انفعالات النفس" [٢٥] حيث حلّل فيه أنواع الانفعالات والأهواء والعواطف وجمعها وفسّر آليتها متبنيّا فكرة أن للعقل القدرة على السيطرة وتسخيرها لخدمة راحة الإنسان بحياته العاطفيّة، وبيّن أنّ إرادة الإنسان ما وجدت فقط لاجتثاث الهوى والانفعال من الإنسان، وإنما من أجل أن تهذّبها وتقودها، ويرى رينيه ديكارت أنّ النفس تستطيع التحكم بهذه الانفعالات إن تمّ التزود بالمعرفة ، "ويؤكّد ديكارت على عدم وجود نفس ضعيفة لدرجة أنها لا تستطيع أن تقف في وجه عواصف العواطف، وكأنّه يقول إنّ في أضعف فرد منّا تكمن قوّة قادرة كامنة ، تنتظر أمر إرادتنا للوقوف أمام الانفعالات ، ويقول إنّ وظيفة الانفعالات أنها تحثّ النفس وتُعدّها لتقبّل الأشياء التي كانت قد حضّرت الجسم لها ، وهكذا فإنّ الشعور بالخوف يحثّ النفس على الهرب أما الشعور بالإقدام فيحثّها على أنّها تريد أن تقاتل وهكذا مع بقيّة الانفعالات ، ويرى ديكارت أنّ الانفعالات كلها جيّدة بطبيعتها وأن ليس أمامنا ما نتجنّبه منها سوى استعمالاتها السيئة أو الإفراط فيها ، ومتعة الحياة تتوقف على هذه الانفعالات والعواطف ، فليس في الحياة من عذوبة بدونها " [٢٦] .

وبهذا يتبين لنا حاجة الأمة إلى دراسات متوازنة ، تُقوّم طبيعة الانفعالات النفسية وكيفية تصويرها ، بالاستناد إلى القواعد القرآنية ، ويعتبر هذا الفصل تمهيداً للدراسة المنشودة ، ويتناول في طيّاته : تعريف الانفعالات وأنواعها ومظاهرها .

---

٢٤) انظر : الزين ، سميح عاطف ، علم النفس : معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١م /١٤١١ هـ . ص١٩-٢٠

٢٥) انظر : ديكارت ، رينيه ، انفعالات النفس ، دار المنتخب العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م .

٢٦) العادلي ، راهبة عباس ، الانفعالات نموّها وإدارتها ، مكتب اليمامة للطباعة ، العراق ، ٢٠١٠م ، ط١، ص٢٣ .

تعريف الانفعالات :

الانفعالات لغة :" جمع انفعال والانفعال : مأخوذ من الفعل انفعل بمعنى تأثّر، تقول انفعل ومنفعل : تأثر به انبساطًا وانقباضاً " [٢٧]

أما من ناحية التعريف الاصطلاحي فإنّه لا يوجد تعريف محدد للانفعال النفسي والسبب في ذلك يعود كما وضّح الدكتور محمد بني يونس : " لاختلاف خصائص ومكونات ووظائف الانفعالات بالإضافة إلى الفروق في الخلفيات النظرية لدى علماءالنفس" [٢٨] .

وأذكر تالياً عدداً من هذه التعريفات لبيان معنى الانفعالات النفسية :

عرّف الدكتور سميح الزين الانفعالات بأنها : "حالات داخلية تتصف بجوانب معرفية خاصة وإحساسات وردود أفعال فسيولوجية وسلوك تعبيري معيّن " [٢٩]

وقد تعرّف الانفعالات النفسية على أنها حالة ثوران للنفس يقول الدكتور أحمد راجح : " أنها حالةٌ جسميّةٌ نفسيّةٌ ثائرة، أو حالةٌ من الاهتياج العام تفصح عن نفسها في شعور الفرد وجسمه وسلوكه، ولها القدرة على حفزه على النشاط "[٣٠]

وعرّف الدكتور حمدي الفرماوي الانفعالات النفسية بناء على علاقتها بقوى النفس فهي: " محصّلة تفاعل القوى الداخلية المكوّنة للإنسان ، ممثلة في قوّة الروح وقوة العقل وقابلية الفطرة ومن ثمّ ينتج عن هذا التفاعل شخصية مطمئنة أو لوّامة أو أمّارة بالسوء .

فالشخصية المطمئنة يتوازن فيها صراع القوى أو قوى الصراع فهي مادية بما تتطلبه الحياة على الأرض ، وهي روحية بقدر سموها فوق غرائز الجسد متطلعة إلى خالقها ، هي شخصية في سلام مع نفسها وانفعالاتها ومتصلة مع الوجود، أما الشخصية اللوّامة فهي تتأرجح في سلوكها بين طغيان المادة من جهة واستشعار الجانب الروحي من جهة أخرى فتلوم نفسها وتشعر بالذنب حين تطغى القوة المادية ثم تستشعر ما فيها من قوة روحية لتعود إلى الاطمئنان ، وسبيلها إلى الاطمئنان الدائم هو مراجعة الذات والتوبة فيتحصّل وجود الفطرة النقيّة .

---

٢٧) إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط، مصر، مجمع اللغة العربية، مطبعة المكتبة الإسلامية للنشر ،ص ٦٩٥

٢٨) بني يونس ، محمد محمود ، سيكولوجية الدافعية والانفعالات، عمان دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ١٤٢٩/٢٠٠٩هـ ، ط١ ، ص٢٢٧

٢٩) علم النفس : معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة ، سميح الزين ، صفحة ١٤١.

٣٠) راجح، أحمد عزت، أصول علم النفس ، الإسكندرية ، المكتب المصري الحديث للنشروالتوزيع ١٩٨٢، ط١، ص١٢٢.

أما المنتج الثالث لهذا التفاعل فيتمثّل بالشخصية الأمّارة بالسوء ، تلك التي تسود فيها النزعة المادية الشريرة ، والمطالب الجسدية الهدّامة فهي شخصية ضعيفة ، تغلّبت عليها قوى النفس الشريرة ، فنزعت إلى الفساد والشهوة وتأثّرت انفعالاتها بهذا " [٣١] .

وقد جمعت الدكتورة راهبة العادلي في كتابها " الانفعالات نموها وإدارتها" عدة تعريفات للانفعالات النفسيّة ، بيّنت فيها سبب نشوء الانفعال وعلاقته بالتغيرات الجسدية و من تلك التعريفات:

" ١) هي حالة وجدانية معقدة دائمة وثابتة نسبيّاً تتضمن تغيّرات جسمية في النبض والتنفس وإفراز الغدد ، تتميز بشعور قوي وتكون دافعاً نحو شكل معين من أشكال السلوك .

٢) هي حالة استثارة تتم داخل الكائن الحيّ ، لها مكوّنات فسيولوجيّة ومعرفية وموقفيّة ، تتسم بإحساسات وسلوك تعبيري معين .

٣) هي حالة الاستعداد للفعل ووضع الأولويات وتدعيم المخططات وما يصاحبها من تغيرات جسمية وتعبيرات وأفعال .

٤) هي مشاعر شخصية تجعل الفرد يشعر بطريقة معينة ، مثل الغضب والفرح والبهجة وهي ظاهرة قصيرة المدى غير موضوعية، محفّزة تواصلية ، تنشأ عن عوامل بيولوجية ومن معالجة المعلومات والتفاعل الاجتماعي والسيلق الثقافي ، وتظهر على شكل ردود فعل شخصية وبيولوجية واجتماعية هادفة ." [٣٢]

وللانفعالات النفسية أثر كبير على حياة الإنسان ، يقول الأستاذ محمد الشعبيني : "الانفعالات قلق حاد يصيب الفرد عامّة ، سيكولوجي في أصله، ويشمل السلوك والناحية الشعورية والوظيفة الحشوية ، والمقصود بالقلق : هو أنّ جميع الانفعالات ما عدا المعتدل منها تسبب اضطراب أي نشاط للإنسان وهي حادة لأن الانفعال يداهم الإنسان فجأة ثمّ يضعف تدريجيّاً والمقصود أنّه يصيب الفرد بأجمعه لأنّ القلق الانفعالي إذا انتاب شخصاً فإنّه يشمله من رأسه لأخمص قدمه " [٣٣].

---

٣١) الفرماوي ، حمدي علي ، البناء النفسي في الإنسان : دراسة من فيض القرآن الكريم ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ١٩٩٦م ، ص ٦٤

٣٢) الانفعالات : نموها وإدارتها ، راهبة العادلي ، صفحة ٢٥

٣٣) الشعبيني ، محمد مصطفى ، مقالات في علم النفس ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٢ ، ١٩٦٣م ، صفحة ١١٦

مما سبق يتضح أنّ تعريفات الانفعال مختلفة بصياغتها ، إلا أنّ محتواها واحد؛ حيث إنّ كافة التعريفات اعتبرت الانفعالات على أنها : تغيّر وجدانيّ داخليّ مفاجئ يصاحبه تغيّر فسيولوجي ونفسي معاً .

وتوضّح هذه التعريفات أنّ حدوث الانفعال النفسي مرتبط بأمرين هما :

" أولاً :السبب أوالمنبّه أوالمثير : إذ إنّ الانفعالات لايمكن أن تظهر من فراغ ، بل يوجد وراء كل انفعال سبب معين أو مثير.

ثانياً : الاستجابة : وهي الإثارة التي تحدث كردّ فعل على المثير أو السبب ، ولها مظهران: جسميّ وشعوريّ ، وتتفاوت الإثارة بين الأفراد فمنهم من يكون من ذوي الانفعالية العالية ومنهم من يكون من ذوي الانفعالية المنخفضة، والاستجابة الانفعالية عند الأفراد تتراوح في شدّتها بين عالية جدًا وعالية ومتوسطة وقليلة وقليلة جداً ، والسبب في هذا التفاوت يعود إلى عوامل نفسية أو فسيولوجية أواجتماعية أوغيرها " [٣٤] .

وتشترك الانفعالات النفسية غالباً بعدة خصائص هي :

١)" يتجه السلوك الناشئ عن الانفعال إلى هدف ، كما في حالة الحب والحنان فيحاول الفرد أن يقترب من موضوع الانفعال ، وقد يحاول الابتعاد عن موضوع الانفعال كما في حالة الخوف ، والكائن في كلتا الحالتين يعمل على تعبئة قواه للوصول إلى هدفه ." [٣٥]

٢) " التراوح بين القوة والضعف : فتارةً يكون الانفعال شديداً بحيث يسيطر على معظم السلوكيات الأخرى وتارةً يكون عابراً بشكل ضعيف غير ملحوظ .

٣) يتسم السلوك الصادر عن الانفعالات باستمراره وتنوّعه؛ فانفعالات كالغضب أو الخوف أو الحب يصدر عنها سلوك مستمرّ حتى يُدرك الهدف .

٤) قد تكون أهداف الانفعال رمزيّة ؛ فالأم التي تقوم بإرضاء حاجات طفلها البيولوجية تصبح لديه كرمز لإرضاء حاجاته ويصبح وجودها بالقرب منه عاملاً يؤدّي لتحقيق توازنه الحيويّ؛ لأنّ مجرد وجودها يعد مؤشر ضمان لإشباع حاجاته البيولوجيّة ، وبهذا يبقى مسروراً أمّا إذا غابت فإنّه يخاف من عدم إرضاء حاجاته ، وبذلك يدخل بحالة من القلق ويحاول أن يستدعيها إلى جواره بكل ما يستطيع من قدرات، ولكن بمرور الأيام فإنه سرعان ما

---

٣٤) المصدر السابق ، صفحة ٢٣٦ بتصرف .

٣٥) مقالات في علم النفس ، محمد الشعبيني ، صفحة ١٤٦

تتعمق العلاقة بينه وبين أمّه ، بغضّ النظر عن إرضاء هذه حاجاته البيولوجيّة ويغدو وجودها بالقرب منه عاملاً من عوامل اتزانه النفسيّ ، أما ابتعادها عنها فقد يكون عاملاً مخلاً بهذا التوازن .

٥) من المعروف أنّ الانفعالات تتفاوت من حيث الشدة ، وهذا الأمر لا يظهر بوضوح في مرحلة الطفولة فالطفل يتساوى صراخه للجرح الكبير مع صراخه للجرح الصغير ، ولكن مع نضجه تبدأ استجابته الانفعالية بالتباين والتنوع من ناحية الشدة والضعف.

٦) تتميز الاستجابة الانفعاليّة بأنها تركز انتباه الإنسان وتوجّه قواه نحو هدف معين، فالطفل الذي يخاف بعض الحيوانات ،يركز انتباهه عليها فور رؤيتها ويوجّه جميع قواه للهرب منها"[٣٦].

٧)" كلما تكررت مثيرات نشوء الانفعال بات الانفعال مزمناً أكثر وزال ببطء .

٨) يمكن كبت الانفعالات وإخفائها .

٩) قد تنشأ الانفعالات بسبب مواقف حقيقيّة أو مواقف مُتخيّلة ، وقد تنتقل عن طريق العدوى"[٣٧].

وظيفة الانفعالات : تقوم الانفعالات بوظائف مهمة ، لعل أبرزها ما ظهر لنا من خلال التعريفات ككيفية تحديدها لمسار حياة الفرد ، وتأثيرها عليه فسيولوجياً واجتماعياً ، " فبفضل الانفعالات نفهم بعضنا بعضاً بصورة أحسن ، كما أننا نستطيع وبدون استخدام الكلام أن نحكم على حالات بعضنا للتكيّف الأمثل للعمل الجماعي ، والتواصل على أكمل وجه ، والحقيقة الممتعة في هذا الخصوص أنّ الأفراد المنتمين إلى ثقافاتٍ مختلفةٍ يستطيعون استقبال وتقييم تعابير الوجه البشري ، بدون أيّة أخطاء كما أنّهم يتمكنون من تحديد الحالات الانفعالية كالفرح والحزن والغضب والخوف والتعجب والاشمئزاز من خلال تعابير الوجه ، وهذا بالأخص يمكن أن يحدث لدى تلك الشعوب ، التي لم يتم بينها أيٌّ اتصال أو تواصل على الاطلاق"[٣٨].

---

٣٦) مقالات في علم النفس ، محمد الشعبيني ، صفحة ١٤٦ بتصرف يسير.

٣٧) الانفعالات نموها وإدارتها ، راهبة العادلي ، صفحة ٢٦ .

٣٨) بني يونس ، محمد ، مبادئ علم النفس ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط١، ٢٠٠٩، صفحة ٢٨٥ .

وفي الجانب الاجتماعي " فإنّ الانفعالات تؤدي وظيفةً مهمةً في تسهيل التواصل الاجتماعي بين الأفراد؛ فالانفعالات السارّة تبعث على السرور والإنتاج وتجديد الأمل وتوطيد أواصر العلاقات الاجتماعية، أما الانفعالات غير السارة فتعمل على الانسحاب أو الهرب أو التهيؤ وإعادة التأمل ، وللانفعالات دور مهم في إيصال مشاعرنا للآخرين ، وتحقيق دوافع السلوك ، والتقدير العقلاني لمدى ملاءمة هذا السلوك لنا، كما أنها تعتبر أساليب دفاعية وتوافقية مهمة لمساعدتها في التوافق إلى ظروف الحياة المتغيرة ، وإنّ التعاطف والتسامح يعمل على توحيد أفراد المجتمع ، وبما أنّ لكل مجتمع ثقافة أو أساليب متعارف عليها للتعبير عن الانفعالات فإنها تساعد على فهم المعطيات الدقيقة للانفعالات في المجتمع الواحد ، كما تعدّ مصدراً مهماً للمعلومات ، وهي تساعد في اتخاذ القرارات ، وتقوم بوظيفة تقدير سير الأداء ونتائجه " [٣٩] وللانفعالات تأثيرٌ واسعٌ على طبع شخصية الفرد بنمط خاص ؛ وذلك ناشئ عن استمرار الانفعالات الثابتة بالظهور وكونها عبارة عن علاقة الفرد بالأشياء والأشخاص فهي توسّع أفقه وتوجّه طاقاته وتدفعه ، سواء كانت هذه الدافعية سلباً أو إيجاباً .

مكونات الانفعالات :

" أ) الارتباط ما بين الذهن والجسم : أي أنّ الانفعالات عادة ما يصاحبها تغييرات مرئية وغير مرئية في الجسم كإيماءات الوجه وتصبب العرق و دقات القلب مثلاً.

ب) شدة الانفعالات : أي الدرجة التي تظهر فيها الانفعالات ، وتتراوح ما بين عالية جداً و عالية و متوسطة و ضعيفة و ضعيفة جداً .

جـ) أنواع الانفعالات : إيجابية أو سلبية ، سارّة : أي الانفعالات باعثة للسعادة أو غير سارة : أيّ باعثة للتعاسة " [٤٠].

ووضح الدكتور محمد بني يونس مكونات الانفعالات على أنّها:" سلوك ظاهريّ : أي ظهور الانفعالات في الإيماءات والحركات والإشارات ، وتعبير فسيولوجي : أي ما يرافق الانفعالات من تغيرات فسيولوجية ، كاحمرار الوجه واتساع حدقة العينين وزيادة ضربات القلب وضغط الدم ، ومشاعر وإدراكات داخلية ، وأخيراً : الموقف المحيط بالفرد ،

---

٣٩) الانفعالات نموها وإدارتها ، راهبة العادلي ، صفحة ٢٧ بتصرف .

٤٠) مبادىء علم النفس ، محمد بني يونس ، ، صفحة ٣٠٨.

وعلى أساس ذلك يمكن تصنيف الانفعالات إلى ثلاثة مكونات هي : فسيولوجية ومعرفية وموقفية . " [٤١]

العوامل المؤثرة في الانفعالات النفسية :

" ١) النضج : ويعني النمو الذي يحدث نتيجة العوامل الوراثية وحدها دون تأثير التعلم ويظهر في تهيئة البناء العضلي والغدي والعصبي اللازم لظهور الانفعالات .

٢) التعلم : ويظهر أثره في اكتساب الطفل التعبيرات الانفعالية ، والتي يتعلمها الطفل من بيئته التي يعيش فيها من خلال المحاكاة التي تقوم بدور كبير في اكتساب الطفل للاستجابة الانفعالية حيث يبدأ في محاكاة الآخرين بعد سن السنتين ، ثم الفهم الذي يعني إدراك المواقف التي يحتمل أن تثير استجابة انفعالية لدى الفرد ." [٤٢]

العصمة ووجود الانفعالات النفسية لدى الأنبياء :

أشرت آنفا إلى أنّ العلماء صنّفوا بعض الانفعالات النفسية على أنها انفعالات سلبية أو ضعيفة ، فتوجّب عليّ قبل أن بدأ شرح تصوير القرآن الكريم لهذه الانفعالات أن أدرأ شبهةً أو التباساً قد يقع في الخاطر حول تعارض هذا الانفعال النفسي المتّسم بالسلبية أو المحكوم عليه بالضعف في علم النفس مع مصطلح " العصمة " لدى الأنبياء والرسل ، والصحيح هو " أنّ أكثرعلماء الإسلام مجمعون على أنّ الأنبياء عليهم السلام معصومون عن تعمّد اقتراف الكبائر وكل ما ينتقص نبوّتهم ، ولمّا كانت الانفعالات النفسية لا تنفك عن الطبيعة البشرية وعن الخلقةالإنسانية، فالأنبياء وفق بشريتهم واقعون فيها لا محالة لكن ذلك لاينافي عصمتهم ولايصطدم معها ؛ ذلك لأنّ الانفعالات التي حدثت لهم وما نتج عنها من تصرفات وأعمال لم تصل إلى درجة الكبائر وكذلك لم تؤّثرعلى نبوتهم أوعلى شخصيتهم الرسالية."[٤٣] وفي حال تأثيرها على رسالتهم فإن التوجيه الربانيّ يأتي عاجلاً موجّهاً للنبي مقوّماً سلوكه.

---

٤١) المصدر السابق صفحة ٣١٤ .

٤٢) الانفعالات نموها وإدارتها ، راهبة العادلي ، صفحة ٢٨ بتصرف .

٤٣) مصطفى ، إبراهيم عبد الرحيم ، الانفعالات النفسية عند الأنبياء رسالة ماجستير ، جامعة النجاح الوطنية ، فلسطين ، ٢٠٠٩، صفحة ٣٠

كما سيرد لاحقاً في بيان تصوير انفعال الغضب في القرآن الكريم وما حصل مع النبي يونس عليه لسلام كنموذج ، وما سوى ذلك لا يتعدى كونه من الانفعالات الصادرة عنهم كأعراض بشرية طبيعية ، يقول الدكتور عمر الأشقر رحمه الله تعالى : " الأعراض البشرية الجبليّة لا تنافي العصمة ؛ فإبراهيم عليه السلام أوجس في نفسه خيفة عندما رأى أيدي ضيوفه لا تمتد إلى الطعام الذي قدّمه لهم ، ولم يكن يعلم أنهم ملائكة تشكلوا في صور البشر قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴾

(سورة هود الآية ٧٠) ، وموسى عليه السلام وعد الخضر بأن يصبر في صحبته له فلا يسأله عن أمر يفعله حتى يُحدث له منه ذكراً ولكنّه لم يتمالك نفسه إذ رأى تصرفات غريبة فكان في كل مرّة يسأل أو يعترض أو يوجّه ، وفي كل مرّة يذّكره العبد ويقول له: ﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾ (سورة الكهف الآية ٧٥) وعندما كشف له عن سرّ أفعاله قال له : ﴿ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴾ (سورة الكهف الآية ٨٢) .

وغضب موسى عليه السلام غضباً شديداً وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه وألقى الألواح وفي نسختها هدىً وذلك عندما عاد إلى قومه بعد أن تمّ ميقات ربّه فوجدهم يعبدون العجل : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (سورة الأعراف الآية ١٥٠) " [٤٤] والأمثلة التي ذكرها الدكتور عمر الأشقر رحمه الله جلّها من الانفعالات النفسية التي تصيب البشر ، نتيجة لتفاعلهم وتعاملهم مع الظروف المحيطة بهم .

ويتضح من هذا أنّ تصنيف الانفعالات على أنها سلبية أو ضعيفة لا يتعارض أبداً مع مفهوم العصمة ؛ فالعصمة إنّما هي العصمة من الذنوب والكبائر ، أو التقصير في تبليغ الرسالة

---

٤٤) الأشقر ، عمرسليمان ، الرسل والرسالات ، عمان ، دار النفائس للنشر والتوزيع ، ط٨ ، ١٩٩٩ ، صفحة ٩٩-١٠٠

السماويّة ، ولا تشمل التصرفات أو الانفعالات البشرية ، المنبثقة من تباين الشخصيات واختلاف الطبائع .

ومع ذلك فقد نبّه القرآن الكريم إلى ضرورة تعديل هذه الانفعالات وتقويمها لتغدو أقوم وأقرب للطريقة المثلى ، كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ (سورة الإسراء الآية ٩) .

المبحث الثاني : أقسام الانفعالات النفسيّة :

ضمّت كتب علوم النفس الإنسانية العديد من التقسيمات المتعلقة بأنواع الانفعالات؛ بحيث قسّم كل باحث فيها الانفعالات بحسب ما يراه مناسباً ، وموافقاً لمعاييره التي يتبنّاها لتوضيح نظرياته وأفكاره، فنرى التقسيمات قد وضعت تارة بناء على شدتها ؛ لأن الباحث يتناول هذا المبحث في تصنيفه ، وتارة أخرى بناء على تأثيرها لأن البحث يدور حول آثار الانفعالات ونحو ذلك، وأحياناً قد تتداخل تقسيمات الانفعالات أو تتعدد ، وتعليل ذلك أنّه " يشتمل كل نوع من أنواع الانفعالات على أنواع فرعيّة من الانفعالات، وهذه الأنواع الفرعيّة يمكن تقسيمها بآليات مختلفة هي: شدّتها ومدتها وعمقها وإدراكها وأصلها وظروف ظهورها واختفائها وتأثيرها على العضوية وديناميكية تطورها واتجاهها نحو الذات والآخرين والعالم المحيط والماضي والحاضر والمستقبل وأساليب التعبير عنها في السلوكات الخارجية "التعبيرية" " [٤٥]

وعلى هذا يمكن القول أن لأنواع الانفعالات اعتبارات مختلفة تؤدي إلى تعدد تصنيفاتها، وهذه الاعتبارات هي :

" أولاً : من حيث تأثيرها في الكائن الحي : تقسّم إلى :

أ) انفعالات إيجابية أوسارّة : وهي الانفعالات الباعثة على السعادة ، والمنشطة للكائن الحي والمؤدية إلى المتعة واللذة ، ولها انعكاسات إيجابية على الصحة الجسمية والنفسية مثل الفرح والسرور.

ب) انفعالات سلبيّة أوغيرسارّة : وهي الانفعالات الباعثة على التعاسة ، وتعمل على الكبت وتؤدي إلى المعاناة والألم ، كما تؤدي إلى نتائج غيرحميدة بالنسبة للصحة النفسية والجسمية ، ومنها : الغضب والخوف والذعر.

ثانيًا : من حيث شدّتها أوقوتها ، وتقسّم إلى :

أ) انفعالات قوية : وهي الانفعالات التي تعمل على زيادة النشاط والطاقة والحيوية والحماس والحميّة ، كما تعمل على زيادة ضربات القلب . وضغط الدم ومن هذه الانفعالات على سبيل المثال لا الحصر : السرور والعنف والغضب والحسد ، وهذه الانفعالات تكون شدّتها مرتفعة.

---

٤٥) مبادى في علم النفس ، محمد بني يونس ، صفحة ٢٩٠ .

ب)انفعالات ضعيفة : وهي الانفعالات التي تكون شدتها ضعيفة وتعمل على التقليل من النشاط والحيوية ومن هذه الانفعالات : الحزن والحنين والضجر.

ثالثًا : من حيث بساطتها وتعقيدها ، تقسّم إلى:

أ) انفعالات سفلى أوبسيطة ب)انفعالات عليا أومعقدة." [٤٦]

رابعا : " من حيث مدتها وثباتها تقسّم إلى :

المزاج ، الفزع أو الحنق أو الهول أوالولع أو الشغف .

فالمزاج هو حالة انفعالية ضعيفة نسبياً ، تنعكس على كافة الشخصية وتؤثر في أدائها ، ويتميز المزاج بطول مدته الزمنية ، إذ يمكن أن يستمر أياماً أو أو شهورا وأحياناً كل العمر، كما يمكن أن يكون انفعالاً قوياً أو غير قوي .

وأسباب المزاج كثيرة ، يمكن أن تكون مرئية يعيها الإنسان ويدركها ، ويمكن أن تكون غير مرئية ، ويعتقد حينها أن المزاج ظهر بدون سبب ، وبمقدور الشخص توجيه المزاج وضبطه ، أما الحنق أو الفزع فهو عبارة عن استجابة انفعالية قصيرة نشطة تأخذ طابع التفجر أو التفجر الانفعالي ويرافق هذه الانفعالات عادة إعادة استثارة للجهاز الحركي ، ويمكن أن تسبب العكس من ذلك الأمر الذي يؤدي إلى الذهول أو الحيرة والكبح في الكلام وعدم الاكتراث تماماً ، وللفزع أسبابه الكثيرة ؛ يمكن أن يكون ناتجاً عن مثيرات قوية كالكلمات وسلوكات أفراد آخرين ومواقف مختلفة ، فالأفراد الذين يسود لديهم الفزع تكون عملية الاستثارة سائدة على عملية الكبح في قشرة المخ . والشخصية المستقرة : هي تلك التي تتحكم بانفعالاتها من حيث شدتها ومدتها وخلافاً لذلك يمكن أن تظهر السلوكات الغوغائية نتاجاً لعدم ضبطها .

أما الشغف أو الحمية أو الولع فهو عبارة عن مشاعر أكثر منها انفعالات وهي عميقة ثابتة وطويلة الأمد وتعتبر كسمة للشخصية كما أنها ترتبط بطموحات الإنسان واهتماماته وتعمل على توجيه سلوكاته ، وحسب اتجاهها تقسّم إلى ولع إيجابي وآخر سلبيّ " [٤٧]

خامساً : " من حيث الميول وهي فيه على قسمين :

انفعالات شخصية : كحب الذات والغيرة والتسلط .

---

٤٦) سيكولوجية الدافعية والانفعالات ، محمد بني يونس ، صفحة ٢٣٩ .

٤٧) مبادئ في علم النفس ، محمد بني يونس ، ٣١٦ .

انفعالات غيرية : وهي بالغة الأهمية في السلوك الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية التي تسود أفراد المجتمع الواحد " [٤٨]

---

٤٨) الانفعالات نموها وإدارتها ، راهبة العادلي ، ص٣٠.

المبحث الثالث : مظاهر الانفعالات النفسية :

يتخذ علم النفس البشري من الإنسان نقطة انطلاق ومحور بحث ، لمجموعة من النظريات المتعلقة بنفسه الغامضة، وأحياناً يغدو من الصعب إيجاد منظومة محددة من القواعد الواضحة والثابتة بما يتعلق بتركيبته؛ وذلك لعمق تكوينه وتعقيد تركيبه ، ولربما استطاع علماء النفس مراقبة سلوك الإنسان الخارجي، أما معرفتهم لسلوكه فهي تبقى محدودة وغير ثابتة من إنسان لآخر، فالسلوك الداخلي للإنسان والتعمّق بخفايا النفس أمر من الصعب جداً إدراكه؛ مهما كانت بلغت اختصاصات الباحثين ومداركهم من العمق أو القوة؛ لأنّ أعماق النفس البشرية تعتبرمن الأسرار المتعلقة بخلق الإنسان وتكوينه من جسد وروح ونفس، والانفعالات النفسية كما ذكرت سابقاً ما هي إلا ردات فعل لمجموعة مشاعر تكوّنت لدى الفرد.

ومن خلال دراسة مظاهر هذه الانفعالات يمكننا الاقتراب من فهمها ووضع تصوّر واضح عنها، وتتباين ردود الفعل حول ذات الانفعال ومظاهره من شخص لآخر : " فهي تختلف باختلاف الأفراد ، وظروف البيئة ، والأوضاع التي يعيشها كل منهم ،فلو أجري اختبار الانفعال نفسه على بضعة أفراد لتبيّن لنا أن ردود الفعل الفسيولوجية تأتي مختلفة ومتنوعة ، وما ذلك إلا لأن الانفعالات إنما ترتبط بمكونات فسيولوجية وإدراكية ومعرفية وسلوكية خاصة بكل فرد ، وإن كانت هذه العناصر تتفاعل مع بعضها البعض في الذات الواحدة ." [٤٩]

"وتعتمد نوعية ومستوى الانفعال ومظهره على مكانة الكائن الحي في سلم التصنيف ، فكلما كانت مكانته أعلى وأكثر رقيّاً ، كلما كانت الحالات الانفعالية أكثر خصوبة ، إضافة إلى ذلك كلما كانت الحاجات أكثر رقياً وخاصة الاجتماعية والأخلاقية منها كانت مشاعره أكثر قيمة ولها وزن أكبر"[٥٠]

ومن الضروري أن تمثّل الانفعالات جانباً مهمّا من حياة الإنسان ؛ فالإنسان بدون انفعالات وعواطف تكون حياته جامدة نمطيّة ، " والأشخاص الذين لا ينفعلون بالوقت المناسب أو

---

٤٩) علم النفس : معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة ، سميح الزين ، صفحة ١٤٢

٥٠) مبادئ علم النفس ، محمد بني يونس ، صفحة ٢٨٧ .

بالقدر المطلوب أو تكون انفعالاتهم غير مناسبة نوعاً أو كمّا فإنّهم يوصفون بعلم النّفس بالجمود النفسي"[٥١].

ومن أهم مظاهر الانفعالات " التغيرات الفسيولوجية والمورفولوجية والحركية ؛ أما التغيرات الفسيولوجية : فهي تتعلق بما يصاحب الانفعال من إفراز للهرمونات، أو تقلّص للعضلات، أو زيادة في ضغط الدم أو التشنجات العصبية ونحوها ، والتغيرات المورفولوجية : هي ما يصاحب الانفعال من تغيّر في ملامح الوجه مثل احمرار العينين وتغيّر لون الوجه وتغيّر لون الشفاه أو تقطيب الجبين ، والتغيرات الحركية تتمثّل بحركة اليد أو الوجه أو الأرجل أو الشفاه لينتج عن ذلك إشارات و ألفاظ أو رد فعل حركي معيّن ." [٥٢]

وفيما يلي بعض الأمثلة لمظاهر الانفعالات النفسية كما وردت في القرآن الكريم حيث "يصوّر القرآن الكريم حالة المؤمنين في موقعة الخندق وما اعتراهم من خوف شديد كما يبيّن آثار انفعالاتهم التي كانت تظهر في شدّة خفقان قلوبهم وتدفق كميات الدم فيها مما يزيد في أحجامها ويجعلها تتضخم في قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾ (سورة الأحزاب الآية ١٠) فتضطرب الأفئدة حتى صارت قريبة من الحناجر .

وأما ما يحدثه الانفعال من تغيرات في ملامح الوجوه يوم القيامة نتيجة لانفعالات الحزن والكآبة التي تنتاب نفوس الكافرين فيذكره الله تعالى بقوله: ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴾ (سورة عبس الآية ٤٠ـ٤٢) فالغبرة هي الغبار والقترة هي من الكدر ، والمعنى أنّ وجوه الكفّار الفجّار يغشاها سواد من الخزي والمذلة والهوان ، كأنما طّليت بغبار أسود أو دهان من كدر .

والعيون تتأثّر أيضاً بالانفعالات بحيث يؤدي انفعال الخوف مثلاً لاتساع حدقة العين قال الله تعالى :﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ

---

٥١) البناء النفسي في الإنسان : دراسة من فيض القرآن الكريم ، حمدي الفرماوي ، صفحة ١٤٩.

٥٢) البناء النفسي في الإنسان : دراسة من فيض القرآن الكريم ، حمدي الفرماوي ، صفحة ١٥٠ .

﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾(سورة إبراهيم الآية ٤٢-٤٣)

فقوله تعالى : " تشخص فيه الأبصار" و " لا يرتدّ إليهم طرفهم " وصفٌ حيّ لما يحدث من اتساع حدقة العين وشدة التحديق وعدم استطاعة الإغماض لشدّة الفزع من هول ما ترى .

ومن التغيرات البدنية التي تحصل أثناء انفعال الخشية قشعريرة الجلد كما في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾(سورة الزمر الآية ٢٣).

ومثال التعبير عن الانفعال بحركات اليدين كما ورد عن انفعال الندم في قولــه تعالى: ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ (سورة الكهف الآية ٤٢)"[٥٣]

ومن خلال ما سبق يتضح أنّ تقسيمات العلماء لمظاهر الانفعالات النفسية مندرجة ضمن ما قدمته لنا التصويرات القرآنية لهذه الانفعالات ، والله تعالى يقول: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (سورة الملك الآية ١٤) ، لذا فإنّ علم النفس مهما بلغت دقته في وصف مظاهر الانفعالات وبيان حال أصحابها لن يصل أبدا لروعة التصوير القرآني لهذه المظاهر؛ ذاك لأنّ ربّ النفس وخالقها هو من صوّر ووضّح مظاهر هذه الانفعالات وبيّن لنا كيفية التعامل معها ، وسيتناول الفصل القادم تصوير بعض هذه الانفعالات النفسية وبيان مظاهرها وكيفية تناول القرآن الكريم في قصصه لها وتقويمه لسلوك الأفراد من خلال هذا التصوير .

---

٥٣) معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة ، سميح الزين ، صفحة ١٤٣- ١٤٤ بتصرف .

الفصل الثالث : الانفعالات أنواعها وتصويرها الفني في القرآن :

المبحث الأول : الغضب وتصوير القرآن له .

المبحث الثاني : الفرح وتصوير القرآن له .

المبحث الثالث : السخرية وتصوير القرآن لها .

المبحث الرابع : الندم وتصوير القرآن له .

المبحث الخامس : الخوف وتصوير القرآن له .

المبحث السادس : الحزن وتصوير القرآن له .

الفصل الثالث : الانفعالات أنواعها وتصويرها الفني في القرآن :

حبا الله تعالى الإنسان بفطرة سليمة ، تهيؤه وترشده لكل ما يمكّنه من الاستقرار ، والوصول لمرحلة الرضى عن الذات، وهو بفطرته التي جبله الله تعالى عليها يمتلك حب الاستكشاف والاستطلاع لكل ما هو غامض ومجهول ، سواء في ذاته كنفس أو في ما حوله من أشياء وأماكن، وهذه الفطرة مرتبطة في كل إنسان بما يُعرَفُ عند علماء النفس بالطاقة الحيوية: أي : مجموعة الغرائز والحاجات العضوية .

ولقد وضّح الأستاذ سميح الزين في كتابه "علم النفس : معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة" أن الإنسان بفطرته يمتلك ثلاثة أنواع من الغرائز ، هي غريزة حب البقاء وغريزة حفظ النوع وغريزة التقديس أو ما يعرف بالتديّن ، والمقصود بالحاجات العضوية : حاجة الإنسان للأكل والشرب وما يتعلق بهما وكذلك النوم ونحو ذلك .

كما أزال اللبس الواقع ما بين الغرائز والحاجات العضوية واللبس الواقع ما بين الغرائز والمظاهر التي تترجم بها ، موضحاً أنّ غريزة حب البقاء هي التي تدفع الإنسان أحياناً للتملك أو الطمع ولا يجوز اعتبار كل منهما غريزة مستقلة ، إنما هي مما يترتب على الغريزة الأصلية وهي حب البقاء . وبيّن أن الواجب هو التفريق بين الغرائز ومظاهرها ، فالأولى هي جزء طبيعي من تكوين وجبلّة الإنسان لا يمكن تجاوزها أو إنكارها ،أو نزعها أو تجاوزها، فهي تنشأ مع الإنسان مذ لحظة حياته الأولى، أما مظاهر الغرائز فقد أوضح أنها تبعات للغرائز ، وهي مما يمكن ضبطه أوتعديله أو حتى محوه؛ لأنها خارجة عن تكوين الإنسان .

ومما يجدر ذكره أنّ هذه الطاقة الحيوية تعتبر بمثابة دافع للإنسان ، تحرّكه ليبحث عن كل ما قد يؤمن له حاجات حياته الأساسية وكل ما يمكن أن يشبع غرائزه وحاجاته العضوية، ووضح الأستاذ ضرورة إشباع أو تنظيم كلٍّ من الحاجات العضوية والغرائز وإن كانت الغرائز أقل خطراً منها ، ولكنها تبقى في حيز الخطر على توازن الإنسان ، وقد يؤدي إهمالها إلى الهلاك أو الشقاء .

وبيّن الأستاذ سميح أنّ هذا الإشباع لا يتم إلا من خلال التفكير في العيش ، وهو تفكير حتميّ وطبيعي، والواجب على الإنسان أن يكون تفكيره في العيش قائماً على نظرته للحياة الدنيا التي يحياها ؛ كي لا يبقى تفكيره محدوداً وضيّقاً ، فلا يتحصّل له الرقيّ أو الطمأنينة الدائمة، ولا

يتعارض هذا التفكير مع غرائز الإنسان ولا يعرقلها، ولكنه يخرجه من دائرة البدائية والانحطاط لدائرة الرقي والتطور ، كما أنّ وجود هذا التفكير في حياة الإنسان لا يلغي تفكيره الأساسي في العيش الذي وضح سابقاً .

"إذ أنّ من البداهة أنّ التفكير في العيش يسبق كل ما عداه ، بل الموضوع هو التفكير في العيش الراقي ذلك الذي تكون فيه الطمأنينة الدائمة ، والتفكير بالعيش لدى الفرد يرتقي من التفكير بالعيش نفسه إلى التفكير بعيش عائلة ومن ثم يرتقي إلى عيش القوم ومن ثمّ عيش الأمّة ومن ثمّ الناس جميعاً ، ولكن هذا الارتقاء وإن كان موجوداً في فطرة الإنسان إلا أنّه إذا تُرِك وحدَه بدون أن يُجعَلَ له أساس يُبنى عليه فإنّه قد يُحصَرُ بنطاقه الفرديّ ولا يتعدّاه إلى الغير فتبقى الأنانيّة متحكّمة في هذا الفرد ويظل الانحطاط بارزاً في تصرفاته أو في أيّ مظهر من مظاهر حياته. " (٥٤)

ومن هذا المنطلق تتناول هذه الرسالة تصويراً قرآنياً لمجموعة من الانفعالات النفسيّة ، وتبيّن ما ورد حولها من توجيهات ولمحات بما يحقق للقارئ مفهوم الرقيّ والتطور الفكريّ والنفسيّ حيث تندرج الانفعالات المتناولة هنا تحت باب مظاهر الغرائز الإنسانية ، وذكرت سابقاً إمكانية تعديلها وتطويرها ، بل وكبتها أحياناً إن استلزم الأمر ، كونها من مظاهر الغريزة الخارجية.

وتتضمن الرسالة : انفعال الغضب وانفعال الخوف وانفعال الفرح وانفعال الحزن كمظاهر متعلقة بغريزة حب البقاء.

إنّ التنوع الثريّ الذي ضمّه القرآن الكريم في تصوير الانفعالات النفسية المتعددة ما هو إلا إشارة من الله تعالى ، لعظم دور الانفعالات في ضبط مسار حياة الإنسان ، وتقويم علاقاته مع الآخر؛ فهو يحثّ إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة على تأمّل الانفعالات الصادرة من الآخرين والاستفادة منها .

لهذا نجد القصة القرآنية بالذات تحوي موسوعة غنيّة من التصوير البليغ للانفعالات النفسية، ولا يمكنني إذ عنونت لفصلي هذا باسم (الانفعالات أنواعها وتصويرها الفني) أن أوفيَ الموضوعَ حقّه وأخرجه بشكل كامل تام ، إنما سأحرص على إيراد أمثلة ونماذج تصلح كنقطة انطلاقٍ ومؤشرٍ لمن يريد مزيداً من الروى من هذا النبع النقي ، ومن نقطة محدودية القدرة في

---

٥٤) معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة ، سميح الزين ، ص١٥٦ بتصرف يسير .

تفسير القرآن الكريم فإنّ هذا الفصل محتوٍ على تصوير ست انفعالات نفسية أساسية هي : الحزن والخوف والغضب والفرح والسخرية والندم، وكيف تم تصويرها في القصة القرآنية ، ودلالات هذا التصوير ، وملامح علاجها إن وجدت ، وأسأل الله تعالى القدير اللطيف أن ييسر لي ما يكون فيه النفع والخير والسداد.

المبحث الأول : الغضب وتصوير القرآن له :

في بداية الحديث عن تصوير أول الانفعال النفسية ، لا بد من إيرادما بينه الدكتور صالح ملا عزيز في ذكره لطبيعة التصوير القرآني للانفعالات، حيث قال : " قد يقوم التصوير على التقابل، فيصف الحالات النفسية المتقابلة بعضها في إثر بعض، إذ يذكر صورة الاطمئنان النفسي في مقابل الاضطراب ، ويأتي بصور الحزن في قبالة صورة الفرح؛ لأنّ وضع الشيء في قبالة نقيضه يزيده وضوحاً، وإنّ التقابل الصوري من شأنه أن يحافظ على التوازن في مخاطبة النفس الإنسانية ، بحيث لا يغريه الرجاء بالقعود، ولا يحمله الخوف على اليأس .

وتُبنى الصور النفسية في الخطاب القرآني على وفق تشكيلتين : إحداهما البناء البسيط الذي يرسم موقفاً نفسياً بسيطاً ، لا يتطلب الكثير من التفصيل ، وتسهم في تشكيل البناء البسيط كلّ الوسائل البلاغية ، ولا سيّما أشكال المجاز، أمّا التشكيلة الأخرى فهي البناء المعقد الذي يقوم على حشد الصور المفردة حيناً، وعلى علاقات التنامي بين أجزاء الصورة الواحدة حيناً آخر، وعلى الاثنتين معاً حيناً ثالثاً "[٥٥]

وبناء عليه فإنّ ما سيأتي من تصويرات للانفعالات النفسية المختلفة لا تكاد تخرج من هذين الإطارين؛ أعني البسيط المتضمن لقليل من التفسير والمعقد الممتلئ بالصور المركبة، وسأحرص في بيان تصوير الانفعالات على :

١) ذكر أماكن ورود الانفعال في جميع آيات القرآن الكريم بتدرجاته إن وجدت .

٢) ومن ثمّ التركيز على تصوير هذا الانفعال ضمن ما جاء في القصص القرآني فقط .

٣) وذكر مضامين الانفعال من أسباب وآثار وماهية المنظور القرآني له ووسائل التعبير عن هذا المنظور.

---

٥٥) جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، صالح ملا عزيز، صفحة ٣٧١

**** تعريف الغضب : لغة واصطلاحاً :**

الغضب لغة: قال ابن فارس : " الغين والضاد والباء أصل صحيح يدل على شدّة وقوة يقال إنّ الغضبة : الصخرة الصلبة، قالوا: ومنه اشتق الغضب ؛ لأنه اشتداد السخط."[٥٦] وعرّف ابن منظور الغضب على أنّه : " نقيض الرضا "[٥٧] .

ولا يكاد يخرج التعريف الاصطلاحي كثيراً عن إطار التعريف اللغوي، وفي مثل هذا المقام ليس الأولى لي كباحثة أن أعرضَ التعريفات المختلفة لكل انفعال وأسهب الاقتباس من كتب شتى لأبيّن الاختلافات في تعريف كل عالم أو باحث للانفعال، ولكنّ الأولى هو أن أعرضَ تعريفاً عاماً لكل انفعال بما يكون جامعاً للمعنى وسادّاً لثغرة البيان الأساسية وأقتصر عليه.

**** الغضب اصطلاحاً :**

" هو ثوران دم القلب ، أو انفعال النفس بمشاعر النقمة أو إرادة الانتقام، وقد يعدّ الغضب مظهراً إيجابياً للدفاع عن النفس ، ولذلك كان مظهراً لغريزة حفظ البقاء ، وكما يدفع الغضب الإنسان نحو الآخرين الذين يغضبونه بسلوك من الانتقام أو العداوة أو الكراهية لتصرفهم ، فإنه أحياناً كثيرة قد يرتدّ على الإنسان نفسه ، إن لم يجد أمامه ما يوجه إليه سلوكه العدواني ، فقد يغضب الإنسان ويضرب غيره مثلاً أو قد يحطّم بعض الأشياء المادية التي يجدها في طريقه ، ولكن كثيراً ما يرتدّ غضبه إلى نفسه ، ومثاله وصف القرآن الكريم للكافرين وتصويره غضبهم وهم يعضّون أناملهم غيظاً من المؤمنين ، قال الله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١١٩)"[٥٨] .

وبناء على ما سبق يتضح أنّ انفعال الغضب من الانفعالات الأساسية في حياة الإنسان ، والتي تصاحبه منذ ولادته ، فهو انفعال طبيعي تشعر به كل المخلوقات ، ويصحبه استجابات قوية في الجهاز العصبي ، وهو حالة انفعالية توصف في علم النفس غالباً بالسلبية.

---

٥٦) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، صفحة ٧٨٨

٢) ابن منظور ، أبي الفضل جمال الدين بن محمد ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط١، (٦٤٨/١) .

٥٨) معرفة النفس في القرآن والسنة ، سميح الزين ، صفحة ١٦٨.

**** درجات الغضب :**

وأما عن درجات الغضب في العربية فهي كما أوردها الثعالبي رحمه الله في فقه اللغة : " أول مراتبها : السّخط وهو خلاف الرّضا ، ثم الاخرنطام وهو الغضب مع تكبّر ورفع رأس ثم البرطمة وهي غضب مع عبوس وانتفاخ ، ثم الغيظ وهو غضب كامن للعاجز عن التشقّي ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١١٩) ، ثمّ الحَرَد بفتح الراء وتسكينها ، وهو أن يغتاظ الإنسان ، فيتحرّش بالذي غاظه ويهُمّ به ثم الحنق وهو شدّة الاغتياظ مع الحقد ثمّ الاختلاط وهو أشد الغضب . " [٥٩]

**** أسباب الغضب :**

تختلف أسباب الغضب من مرحلة نمائية إلى أخرى ؛ فغضب الأطفال يختلف عن غضب المراهقين وغضب الكبار ، كما يختلف الغضب باختلاف مصادره ، كالفشل في تحقيق التوقعات أو الأمنيات أو الشعور بالظلم ، أو سحب الحرية أو الحد منها أو عند تغيير مخططاته فجأة .

**** تتمثل مظاهر الغضب في أنه :**

١) حالة تغير مفاجئ تشمل الفرد كله ، ولا يختص بها جزء معين في الجسم .

٢) يحدث تغييرا في سلوك الفرد، وتغيرات داخلية في جسمه وخارجية أيضاً .

٣) تعبير خارجي يمكن ملاحظته ." [٦٠]

---

٥٩) الثعالبي ،أبي منصور عبد الملك بن محمد ، فقه اللغة ، المكتبة العصرية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ٢٠٠١ م، صفحة ٢١٢

٦٠) سيكولوجية الدافعية والانفعالات ، محمد بني يونس صفحة ٢٤٧ بتصرف .

**** ورود الغضب في القرآن :**

ورد انفعال الغضب في القرآن الكريم عدّة مرات وبألفاظ تدل على مراحله المتنوعة ، فلفظة الغضب باشتقاقاتها وردت في القرآن الكريم أربعاً وعشرين مرة [٦١] أربعة منها ضمن القصة القرآنية، وأما لفظة السخط فقد وردت في أربعة مواضع بعيدة عن دائرة القصة القرآنية ، والغيظ ورد إحدى عشر مرة .

وفيما يلي عرض للمواضع التي وردت فيها هذه الانفعالات ضمن آيات القصص القرآني.

أ) تصوير الغضب :

ورد الغضب كانفعال في القصة القرآنية مصرّحاً به تارة وهو الغالب ، وتارة أخرى يدلنا عليه مفهوم الآية دون منطوقها ، وتطرقت في بحثي هذا للغضب الوارد صراحة في الآيات الكريمة أما ما يُفهم من النص والسياق فلم أتطرق إلا لمثال واحد يقتضيه البحث .

ورد انفعال الغضب خلال القصة القرآنية في المواضع التالية :

١) ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(الأعراف آية ١٥٠).

٢) ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴾(سورة الأعراف الآية ١٥٤)

٣) ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴾(سورة طه الآية ٨٦).

٤) ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(سورة الأنبياء الآية ٨٧).

---

٦١) جميع التعداد الوارد حول الألفاظ المتعلقة بالانفعالات النفسية معتمد على المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، لمحمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة دار الكتب الإسلامية ، القاهرة ، ١٣٦٤ هـ .

سأتطرق بداية لعرض التصوير الوارد في قصة نبي الله موسى عليه السلام مع فرعون؛ وذلك لأنّ هذا الانفعال شغل مساحة واسعة في هذه القصة ، وخاصة ما ورد في سورة الأعراف، حيث نجد السورة قد تضمنت آيات عديدة تتناول تصويراً فنياً عميقاً لهذا الانفعال .

ورد التصوير الأول لانفعال الغضب في قصة نبي الله موسى عليه السلام من خلال رسم وتصوير شخصية فرعون رسماً وتصويراً يتيح للمتأمل فيه تلمّس الغضب وهو يجري في عروق عدو الله ورسوله ، ويهيّأ له تمثّل صوته وكأنه يسمعه حقيقة ثائراً ناقماً ، بل إنّ التناسق الفنيّ الذي حوته الآيات من إيقاع صوتي بديع ليُلهم السامع لهذه الآيات كيفية يتصوّر بها نبرة صوت عدو الله، وقد أبت فطرة سحرته إلا أن تستجيب لنداء التوحيد ، ملقية بعروضه وإغراءاته لهم بالمال والجاه عرض الحائط ، يكاد المنصت للآية أن يستحضر المشهد حياً أمامه ،لا ينقصه منه شيء. ففي سورة الأعراف وخلال عرضها لموقف فرعون مع سحرته لما آمنوا وقوله لهم : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾ (الأعراف الآية ١٢٣).

يظهر غليان نفس فرعون ، وامتلاؤها بالحقد والغيظ ، حينما آمنوا بنبي الله موسى عليه السلام و نراه بصورة حيّة شاخصة ، وهو يكاد يتقطع ؛ لما رآه من سرعة استجابتهم لدعوة الإيمان ، فنرى شخصيته بتخييلها التشخيصيّ حانقة غضبى ، ونكاد نسمع لهجته الشديدة ولو دون إطالة وصف .

ويبرز تعنيفه لهم ، فنتمثّله حيّا يتوعّدهم ، وهو مستجمع لكافة الأساليب والأفكار ، يحاول ثنيهم عن إيمانهم، ونتلمّس التناسق الفنيّ وجمالية الإيقاع الموسيقيّ من خلال المدّين في (ءآمنتم) و(آذن) ، فلقد حَوَتا جمالية صوتية فريدة ، بما توحيانه من انفعال شديد أصاب فرعون لا سبيل سوى المدود كمحاولة للتنفيس عنه .

وليست هذه المرة الأولى التي يظهر فيها فرعون بمظهر الغاضب المنهار ، شديد التوعد والتهديد ، ففي سورة الشعراء ومن خلال مخاطبته للنبي موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴾ (الشعراء الآية٢٩) تُظهر الآية ثلاثة من المؤكدات وهي: لئن ، ولام التوكيد ، ونون التوكيد ، وفيها ما فيها من تصوير لغضبه الشديد ، وفي قوله: " لأجعلنّك من المسجونين" .

ويخدم هذا التوكيد الغرض الفني ، وحتى الغرض النفسي ، ويُلقي أبعاداً نفسيةً عميقة، وذلك من خلال تهديد فرعون لموسى عليه السلام بأنّه سينضم لقائمة من المسجونين من قبله ، ممن أودعوا في غياهب السجن، كنوع من التخويف والترهيب له،وليحمل تهديده على محمل الجدّ. " قدّم فرعون في تهديده هذا المفعولَ الثاني (إلهاً) على المفعول الأول (غيري)؛ لأنّ أشدّ ما يقلقه هو دعوة موسى عليه السلام إلى الإيمان بالله الواحد الأحد، فكان تقديمه للفظ يساير ما يشغل باله وما يخاف منه، يُضاف إلى ذلك أنّ موضوع المحاورة كان يدور حول قضية الألوهية لا حول شيء آخر، فالنبي موسى عليه السلام يقدّم الأدلة في الكون وفي أنفسهم على اختصاص الألوهية بالله، وفرعون يدّعيها لنفسه، متمسّكاً بالتهديد والتنكيل لكلّ من يزعم خلاف ذلك، هكذا يبدو أنّ صياغة التركيب توكيداً وتغييراً وتقديماً يواكب خواطر فرعون في غضبه، وفي ادعائه الباطل، وفي خوفه على اهتزاز عرشه." [٦٢]

وللإيقاع الصوتي الناتج عن التوكيد في لفظة "لأجعلنّك" أثر في بيان مدى الغضب الذي كان يعتري فرعون ، والمفردة توحي لمن يلفظها بمقدار الحنق الذي يتفلّت من فرعون ، فلا يستطيع المرء تجاوز تلاوة اللفظة إلا إن جاء بالغنة فيها والتي هي برأيي تمثيل صوتي بديع يجسّم هذا الغضب .

وأنتقل الآن إلى بيان تصوير غضب نبي الله موسى عليه السلام نتيجة معصية قومه له وورد هذا الأمر ضمن آيتين هما :

١- ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأعراف آية ١٥٠).

٢- ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴾ (سورة الأعراف الآية ١٥٤)

تتحدث الآية الأولى عن رجوع نبي الله موسى عليه السلام ، وقد اعتراه الغضب الشديد، بعد أن أعلمه الله تعالى بما فعل قومه في غيابه عنهم من معاصٍ وعبادة عجل واتباع لضلالات السامريّ كما ورد في سورة طه: ﴿ قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴾(الآية ٨٥).

---

٦٢) جماليات الإشارة النفسية ، صالح ملا عزيز ، صفحة ٢٣٢ بتصرف .

وتبين الآيات الكريمة مظهرين من مظاهر الغضب ، كنت قد تحدثت عنهما سابقاً هما : التغير الداخلي والتغير الخارجي للإنسان جراء غضبه ، كما تصوّر مقدار الغضب الذي اعتراه عليه السلام ، فظهر على قوله وعمله، فأما الغضب الظاهر على قوله فنتلمسه من خلال الصيغة الاستنكارية في قوله عليه السلام : "بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم؟" وتبرز الآية الواردة في سورة طه هذا المظهر أكثر في قوله تعالى: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴾(سورة طه الآية ٨٦) .

وأما الغضب الظاهر على أفعاله فنجد تصويره في قوله تعالى : "وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجرّه إليه" ، وإلقاءُ الألواح يدلّ على مستوى عالٍ من الغضب بحيث ألقى نبي الله الألواح من بين يديه ، وكذلك جرّ رأس أخيه وهو نبي الله الصالح هارون عليه السلام الذي حاول تسكين غضبة أخيه باستثارة عاطفة الأخوة وبيان حال بني إسرائيل ومدى حثّه لهم على التوبة والإنابة لله ، وفي الآية خاصية راقية من خصائص التصوير الفنيّ وهي خاصية التخييل الحسيّ ، وذلك من خلال ما أوحت به الأفعال : (ألقى) و (أخذ) و(يجر) فهي تُخيل للمطّلع عليها حركة سريعة تتضمن فعل الإلقاء ، وحركة يد نبي الله موسى الممتدة لرأس أخيه تتناوله وتحكم إمساكه وفي موضع آخر يُحكم القبض على لحيته ، ولا يكتفي بذلك بل يوضح لنا الفعل المضارع (يجر) استمرار هذا الفعل لمدة ليست باليسيرة،ولربما تؤدي صفة التكرار بحرف الراء دوراً يُشهد له في إضفاء مزيد من بديع بيان وتصوير ، لينصت القارئ إلى هذا الفعل ، متخيلاً حركة الذهاب والإياب والتكرار الحاصل من فعل الجرّ كلما نطقه ، ومع هذه الأفعال والإيقاعات الصوتية لا يصعب على السامع أبداً تخيّل حركة نبي الله موسى عليه السلام ، وتصوّر مدى هذا الغضب العارم الذي دبّ فيه ، وتصوّر حركات يديه و جسده ، ونبرات صوت نبي الله هارون وهو يستعطفه ، ويهدئ من غضبه وانفعاله.

وبعد هذه الحركات السريعة المتخيلة التي صوّرها التعبير القرآني البليغ ، تبدأ الصورة الفنية بالميل للسكون والهدوء شيئاً فشيئاً ، بعد سماع نبي الله موسى عليه السلام من أخيه معذرته وتبريره ، ويبدأ هذا الغضب بالسكوت .

قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ (سورة الأعراف الآية ١٥٤)، يتجلّى الانفعال في هذه الآيات ومن خلال خاصية التخييل الحسيّ ، المتمثّل باستحضار الحركة وتخيّلها بسبب التعبير مشخّصاً كإنسان مندفع متحرك هائج ثم يأتيه ما يهدّأ حركته ، ومن ثمّ يسكّنه، وكأنّ من سيطر على موسى عليه السلام ودفعه لغضب عارم ولإلقاء الألواح وجرّ رأس أخيه فجأة قد(سكت) ،وكم يثير هذا الفعل من دلالات نفسية ما كانت لتُثار لو تم التعبير عن الموقف بفعل سواه ، أو لو تغيّرت صياغة الجملة من تقديم وتأخير حصل في صياغة التصوير ، ووضح الإمام ابن عاشور رحمه الله جمالية التشبيه الواقع في الآية بقوله : "السكوت مستعار لذهاب الغضب عنه وشبّه ثورانُ الغضب في نفس موسى عليه السلام المنشئ خواطر العقوبة لأخيه ولقومه ، وإلقاء الألواح حتى انكسرت بكلام شخص يغريه بذلك، وحُسن هذا التشبيه أنّ الغضبان يجيش في نفسه حديث للنفس يدفعه إلى أفعال يُطفىء بها ثَوران غضبه، فإذا سكن غضبه ، وهدَأت نفسه ، كان ذلك بمنزلة سكوت المغري، فلذلك أطلق عليه السكوت"[٦٣].

وترينا الآية تصويراً للانفعال بغاية الدقة والبلاغة ، فلا يخطئ المتدبّر تمثّله ، ويرى الشخصية حيّة تتحرك من حوله ، واضحة المعالم ، تماماً كما وصفه الشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني بقوله : " التصوير المتحرك الحي الناطق، ذو الأبعاد المكانيّة والزمانيّة الذي تبرز فيه المشاعر النفسية والوجدانية والحركات الفكرية للعناصر الحية في الصورة "[٦٤].

وأما عن التناسق الفني المتعلق بالإيقاع الصوتي في الآية فإننا نجد في صفات حروف لفظة الغضب وهي حروف الاستعلاء والتفخيم والتي حالما ينطقها المرء يستشعر بشكل واضح طبيعة هذا الانفعال القوية .

---

٦٣) تفسير التحرير والتنوير ، محمد بن عاشور ، (٤/ ١٢٢) .

٦٤) الميداني،عبد الرحمن حسن حبنكة ، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع ، دار القلم ، ١٩٩٢ م ، صفحة ١١٥

**** تصوير الغضب في قصة نبي الله يونس عليه السلام :**

وأنتقل الآن إلى بيان تصوير انفعال الغضب الوارد في قصة نبي الله يونس عليه السلام وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(سورة الأنبياء الآية ٨٧):

تصف الآية موقف نبي الله يونس عليه السلام ، حينما خرج والغضب يعتريه ، حين امتدّ تعنتهم وطغيانهم ، وكان الله تعالى قد أمره بملازمتهم والدعاء لهم وعدم مفارقتهم ، فكان ذنبه خروجه من بينهم من غير إذن من الله ولفظة المغاضبة هي للمبالغة بالغضب لأنّه غضب غريب.[٦٥]

وقاده هذا الغضب والضيق لمغادرة قومه لما لقيه من عنادهم وصدّهم ، ولولا إنابته لله تعالى واعترافه بظلمه لنفسه ودعوته لما فرّج الله تعالى عنه ضيقه هذا ؛ لأنّ الواجب في مثل هذا المقام هو أن يتحمّل الداعية إلى الله مشاق طريق الدعوة وأن يصبر على تكذيب العباد له وأذيتهم الواقعة عليه،فطريق الجنة ليس بسهل المنال ودرب النبوة معبّد بالابتلاءات والمحن: والدعاة إلى الله تعالى "لا يجوز لهم أن ييأسوا من صلاح النفوس واستجابة القلوب، مهما واجهوا من إنكار وتكذيب، فإذا كانت المرة المائة لم تصل إلى القلوب فقد تصل المرة الواحدة بعد المائة ، وقد تصل المرة الواحدة بعد الألف، ولو صبروا هذه المرة وحاولوا ولم يقنطوا لتفتحت لهم أرصاد القلوب، واستجابة النفوس للدعوات ليست قريبة يسيرة؛ فهناك ركام من الباطل والضلال والتقاليد والعادات والنظم والأوضاع يجثم على القلوب ولا بد من إزالة هذا الركام، ولمسة واحدة قد تحول الكائن البشري تحويلاً تاماً في لحظة متى أصابت اللمسة موضعها، وإن الإنسان ليدهش أحياناً وهو يحاول ألف محاولة ثم إذا لمسة عابرة تصيب موضعها في الجهاز البشري فينتفض كله بأيسر مجهود وقد أعيا من قبل على كل الجهود**!"** [٦٦]

ومما سبق يتضح أنّ انفعال الغضب يظهر تصويره في القصة القرآنية على أنّه انفعال مذموم أو سلبيّ تارة وانفعال محمود أو إيجابيّ تارة أخرى ـ كغضب سيدنا موسى عليه السلام

---

٦٥) انظر تفسير التحرير والتنوير ، محمد بن عاشور، (٧/ ١٣٠) .

٦٦) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، (٤/ ٢٣٩٤) .

حينما عصى قومه الله تعالى - وذلك بحسب المحرّك والدافع لتشكله ، وبهذا أختم مبحث تصوير انفعال الغضب في آيات القصص القرآني وانتقل إلى درجة اخرى من درجاته وهي الغيظ :

ب) تصوير الغيظ :

ورد انفعال الغيظ في القصة القرآنية بلفظته الصريحة مرة واحدة وذلك في (سورة الشعراء الآيات ٥٣ - ٥٥) : ﴿ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴾. في الآية يخاطب فرعون جنوده ، موضحاً لهم ما أصابه من غيظ نتيجة لإيمان ثلة من المؤمنين ببني إسرائيل برسالة النبي موسى عليه السلام ، وملامح الاستهزاء والتحقير تغدو واضحة متجلية لمن عاين كلامه حيث تبرز في هذا السياق خاصية التناسق الفنيّ ، من خلال تأليف العبارات الفصيحة بذاتها والبليغة في تآلفها مع غيرها؛ ففي استخدام فرعون لاسم الإشارة "هؤلاء" تحقير جليّ لشأنهم ، ومن ثمّ يتبعه الوصف لهم بأنهم شرذمة، والشرذمة: الطائفة القليلة من الناس[٦٧].

يليها الوصف بأنّ هذه الشرذمة قليلة ، مع أنّ المعروف كون الشرذمة لفظ لا يُطلق إلا على القليل من الناس، وما كان ذلك إلا زيادة منه في التحقير، وبياناً لمدى الغيظ الذي يسكنه ، والذي أدّى لتطاوله عليهم بكل ما يستطيع من ألفاظ تنفّس عنه بعض غيظه ، كما وفي قوله هذا إشارة من فرعون لجنوده تهيؤهم للتطاول على هؤلاء المؤمنين بسبب قلة عددهم وضعف أسبابهم المادية من وجهة نظره .

وغائظون هي اسم فاعل من غاظه بمعنى أغاظه، وهذه الصيغة تصوّر لنا عمق الغيظ الواقع بفرعون ، حتى عُبِّر عنه بصيغة اسم الفاعل.

وكم يحاكي هذا الغيظ ذاك الصادر من المنافقين حال رؤيتهم للمؤمنين وقد تمسّكوا بإيمانهم وثبتوا عليه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١١٩).

---

٦٧) الجوهري ، أبي نصر اسماعيل بن حماد ، معجم الصحاح ، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م ، (٢/ ١٤٤٧)

فالتخييل الحسّي الوارد في (عضّوا عليكم الأنامل) يكشف عن الحقد العميق والدفين الذي طالما أخفاه أهل الكتاب تجاه المسلمين، " فالمصاب بالعُصاب النفسي أو المغتاظ حين لا يجد لغضبه العارم وحقده الشديد منفذاً للتفريغ يدور على نفسه، يصبّ عليها جام غضبه، ويوجّه العدوان إليها في حركات هستيرية ، تؤذي نفسه قبل الآخرين، ولا يقتصر جمال الصورة الكنائية على تلك الحركة العنيفة، حركة الأسنان حين تقبض على الأنامل بشدة، وإنّما فيما يقترن بتلك الحركة أيضاً من تقطيب الوجوه، واضطراب الملامح، وتشويه القسمات، حين يهمّ أصحابها بإيقاع الضرر والإساءة بالآخرين." [٦٨]

فالتصوير الفنيّ في هذا التركيب من خلال قوة عرضه وإحيائه أعاننا ويعين المؤمنين في كل حين على تصوّر المشهد وتخيّله ، وإدراك حقيقة هذا الغيظ ، وتمثّله أمامهم ، وإن حرصوا هم بدورهم على إخفائه وكتمانه .فخاصية الحياة الشاخصة التي بيّنتها الآيات هنا يساهم تخيّلها وتمثّلها في دفع الكيد الذي قد يوقعه المنافقون بالمؤمنين ، فكلما قويَ تمثّل الصورة في نفس المؤمن الفطن زاد وعيه تجاه مثل هؤلاء ، وزاد نفوره منهم .وسبحان من يدافع عن الذين آمنوا ، ويحميهم دوماً بتدبيره وتقديره ، وحتى بتصويره المحكم البديع .

وتبيّن آيات الكتاب الحكيم أنّ هذا الغيظ مهما بلغت قوته ، واشتد على المؤمنين ضرره إلا أنّه مردود على من ابتداه بتسخير وحماية منه سبحانه ، وكم نستشعر ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴾ (سورة الاحزاب الآية ٢٥) .

إنّ حرف الباء الوارد في الآية يفيد الملاصقة ، ودلالته " تجعلنا نحسُّ بأنّ الغيظ ليس شعوراً نفسيّاً فحسب؛ وإنما هو شيءٌ تبصره العيون ، حين يسير جنباً إلى جنب الكفار ، ليرجع معهم إلى المكان الذي أتَوا منه، فهو ملاصقٌ لهم ملاصقةٌ حسية لا يفارقهم." [٦٩]

ولله وحده المنّة والفضل ، بأن أنزل على المؤمنين من القرآن ما فيه شفاء لصدورهم ، ودفع لهمومهم ومخاوفهم ، وتحقيقٌ لسنن نصر الله لعباده ، فلا ينقطع رجاؤنا بالنصر ولا بالفتح ولو من خلال "حرف" نقرؤه فتطمئن النفس وتهدأ .

---

٦٨) جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني ، صالح ملا عزيز ، صفحة ١٢٩

٦٩) جماليات الإشارة النفسية ، صالح ملا عزيز ، صفحة ١٩٢.

ومن أسباب الغيظ كما أوردت آيات الكتاب المبين ما يصيب المؤمن من انفعال لأجل الله ونصرة لدينه الحنيف ، كما حصل مع نبي الله إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ۝ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۝ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾ (سورة الصافات الآيات : ٩٠-٩٣) .

فالآيات توضح موقف نبي الله إبراهيم حينما ضاق ذرعاً بعبادة قومه للأصنام ، فانتظرهم حتى ابتعدوا عنها وأسرع إلى هذه الأصنام المنحوتة وقد امتدت أمامها أصناف الطعام المتنوعة " فقال متهكماً : ألا تأكلون؟ ولم تجبه الأصنام بطبيعة الحال ، فاستطرد في تهكّمه ، وعليه طابع الغيظ والسخرية منها: ما لكم لا تنطقون؟ وهي حالة نفسية معهودة أن يوجّه الإنسان كلامه إلى ما يعلم حقيقته ، ويستيقن أنه لا يسمع ولا ينطق ، إنما هو الضيق بما وراء الآلهة المزعومة من القوم وتصورهم السخيف ، ولم تجبه الآلهة مرة أخرى ، وهنا أفرغ شحنة الغيظ المكتوم حركة لا قولاً: "فراغ عليهم ضرباً باليمين" وشفى نفسه من الهم والضيق." [٧٠]

وختاماً لمبحث انفعال تصوير انفعال الغضب نجد أنّ إطالة التدبّر للآيات التي تصوّر الانفعالات تدفع المرء لاستشفاف جماليات وبلاغة التصوير الفني من خلال حروف قليلة تكشفها له، وكما جاء في قصة موسى عليه السلام حينما قال له العبد الصالح: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ (سورة الكهف الآية ٧٥) ، فمن خلال حرفين: "لك" بيّنت الآيات كيف تولّد اللوم عند الرجل الصالح لموسى عليه السلام ، وذلك بسبب عجلته من خلال تكراره الضمير مرتين في : (لك و إنّك) حينما أنكر موسى عليه السلام قتل الغلام بدون سبب " وتعليل ذلك أنّ سؤال موسى عليه السلام فيالمرة الأولى لم يكن ثقيلاً على نفس العبد الصالح ولم يزعجه كثيراً، فكان أقلّ ضيقاً باستعجاله، وهو لذلك مُقِلٌّ في لومه وعتابه، لكن هذا الضيق ازداد عنده بعدما رأى من إصرار موسى عليه السلام على السؤال ، ونفاد صبره على مشاهدة الأحداث المثيرة، فكان

---

٧٠) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، (٥/ ٢٩٩٣) بتصرف يسير .

من المناسب أن يزيد له في التأكيد، تعبيراً عن شعوره بالضيق المتزايد، وتعنيفاً في عتابه إيّاه لإخلاله بشروط المصاحبة التي اتفق عليها الطرفان." [٧١]

بهذا التصوير الرفيع نرى البلاغة قد اختزلت في حرفين ، ونرى التصوير قد ساهم جداً في رفع سمو التعبير القرآني أيما مساهمة ، ومما يذكر في نهاية المبحث أنّه يتوجب على المسلم أن يتحكّم بانفعالاته ، ويوجهها وفق ما يرضي الله تعالى ، ويرتبط بالقرآن الكريم ارتباطاً وثيقاً فالقرآن يحرص على إيصال الإنسان لمرحلة من الهدوء والتوازن في انفعالاته حتى يغدو ذلك أمراً ملازماً له في نفسه وأيضا لسلوكه وليس أدلّ من انشراح الصدر كعلامة على سلامة الإنسان النّفسية وهدوئه الانفعاليّ من قوله تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ

﴾ (سورة آل عمران الآية١٢٦) فالآية تبين حصول الاطمئنان القلبي لمن التزم بدين الله تعالى وحكمه ، ومن قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾ "(سورة الأنعام الآية١٢٥).

وأما مظاهر التوازن النفسي الظاهر على سلوك الإنسان فإننا نجده من خلال قوله تعالى:
﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾(سورة الفرقان الآية ٦٣)

فارتباط الإنسان بربّه الرحمن يؤدي إلى توازنه وسيره على هذه الأرض بخطى ثابتة مطمئنة ، كعلامة من علامات استقراره النفسي.

وفي القرآن شفاء من كل داء ، ويتضمن ذلك الأمراض النفسية ، فالآيات الكريمة ترسم للإنسان إن التزم بأحكامها وهداها طريقاً يوجهه لكل اتزان وخير، وتضبط له انفعالاته ضبطاً يحميه من كل أذى يلحقه، وتعالجه إن زلّ في دائرة الخطأ ولو كان هذا الخطأ خطأ في انفعالاته النفسية .

ومن الطرق التي استخدمها الطب النفسي الإسلامي في علاج الأفراد هي العلاج بالأضداد؛ وهي طريقة قوية تسدّ المنافذ ، فلا يحدث هجوم للأمراض والآفات النفسية ، كما تعوّد النفس على الفضائل ، ومثاله أن يعالج المصاب بالغضب والغيظ بكظم الغيظ .

---

٧١) جماليات الإشارة النفسية ، صالح ملا عزيز ، صفحة ٢٣٤.

والمقصود بكظم الغيظ : "القدرة على الإمساك بالهيجان النفسي من غضب وثورة وأذى، وصاحبه في موقف اختيار فحينما يكظم غيظه يختار الأفضل والأصلح .

وهنا يكون فعل الكظم واقعاً عن وعي الفرد"[٧٢] فالمسلم مطالب بالتزام مثل هذا النوع من الطرق ليحقق لذاته التوازن ، الذي يؤهله لوظيفته الأساسية في هذا الكون ، وهي عمارة وخلافة الأرض ، فضبط الانفعالات وتقييدها بالأوامر الربانية هو في حقيقته تربية للنفس بمفهومه المحدود ، وحسن خلافة على الأرض بمفهومه الممتد.

٧٢) معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة ، سميح عاطف الزين، صفحة ٢١

المبحث الثاني : الفرح وتصوير القرآن له :

من المعروف أنّ الحالات المزاجية الإيجابية تؤدي إلى أفكار إيجابيّة فعّالة للفرد، وهي أيضاً ترفع من قدرته على تذكر الأحداث السعيدة، وتحفّز قدرته الإبداعية ، وتحسّن من إمكانية حلّه للمشكلات ، وزيادة سلوك المساعدة لديه ومحبته للغير .

والفرح لغة هو : "نقيض الحُزْن،وهو أن يجد في قلبه خِفَّةً، فرِحَ فرَحاً، ورجل فرِحٌ وفرُحٌ ومفروح ، والفَرَحُ أيضاً البَطَرُ كما في قوله تعالى:﴿ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴾" [٧٣]

والفرح اصطلاحاً : " انفعال أو مزاج يأتي بعد تحقيق أهداف فرعية، أو عند انخراط الفرد في عمل يجب أن يفعله ، وهو يجعل التنظيم المعرفي أكثر مرونة وينتج ترابطات غير عادية كما يرتبط مع الحالات التي تجعل الأفراد أكثر تعاوناً ومساعدة فيما بينهم." [٧٤]

**** درجات الفرح :**

درجات الفرح بحسب ما وضّحها الإمام الثعالبي رحمه الله تعالى هي: " الجذل والابتهاج ثم الاستبشار ثم الارتياح ثم الفرح وهو كالبطر ومنه قوله تعالى :﴿ لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ﴾ ثم المرح وهو شدَّة الفرح ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًا ﴾"[٧٥]

**** مظاهر الفرح :**

وللفرح مظاهر خارجية عدة ، منها حدوث التبسّم وحدوث الضحك ، أورد فيما يلي شرحاً عن طبيعتهما :

الضحك : " انبساط في الوجه مصحوب بزفير متقطع وصوت مسموع ناجم عن سرور في النفس ويعتبر من أسرار التكوين البشري ، لا يدري أحد ماهيته ولا كيف يقع في هذا الجهاز النفسي الذي لا يقلّ تركيبه وتعقيده عن تركيب وتعقيد الجهاز العضوي ، وكل ما يتبدّى من هذه

---

٧٣) لسان العرب ، ابن منظور ، (٢/ ٥٤١).

٢) سيكولوجية الدافعية والانفعالات ، محمد بني يونس ، صفحة ٢٣٢

٧٥) فقه اللغة ، الثعالبي ، صفحة ٢١٢

الخاصية هي مظاهر لحالات نفسية وعضوية ، ناتجة عن تفاعل المؤثرات في الكائن البشريّ" [٧٦].

**** ورود الضحك في القرآن :**

ورد الضحك في آيات القرآن الكريم في عشرة مواضع ، أربعة منها مندرج ضمن معنى الانبساط والسرور نتيجة لمؤثر ما كقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴾ (سورة عبس الآيات ٣٨-٣٩) فالضحك هنا جاء بمعنى الإعجاب بكرامة الله تعالى[٧٧] ، وكقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾ (سورة النجم الآية ٤٣) ، حيث توضح الآية أن حصول الفرح والضحك اطمئناناً وسروراً ، هو أمر بيد الله تعالى وحده .

و في القصص القرآني ورد مظهر الضحك بهذا المعنى في موضعين كريمين هما :

أ) ما ورد في قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام حينما بشّرته الملائكة بإهلاك قوم لوط المفسدين، مما سبب ضحك زوجته سارة رضي الله عنها استبشاراً بهذا الخبر وفرحاً به ، وتصف الآيات بمفرداتها المعجزة البليغة حالة من الاندهاش والاستغراب أصابت أمنا سارة رضي الله عنها حين بشّرتها الملائكة ويتجسد الموقف بكلمات قلائل ، إلا أنها تحمل من البلاغة ما تحمل ، ومن ثم يتوضح لنا كيفية التعامل مع مثل هذا الانفعال النفسي بتعبير هو غاية في الإتقان ففي قوله تعالى : ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾(سورة الذاريات الآيات (٢٨-٢٩)، " لم تقل امرأة إبراهيم حين جاءتها البشرى بغلامٍ عليمٍ: أنا عجوزٌ عقيمٌ، بل حكى عنها القرآن القولَ بإسقاط المبتدأ، وذلك يتسق مع نفسية هذه المرأة حين خرجت من حجرتها تضربُ وجهها لغرابة ما سمعت، وهذا التفسير يتجاوب مع ما ردّده البلاغيون الجدد من أنّ بعض أشكال الحذف تبدو أكثر توافقاً من بعضها الآخر مع حالات نفسية حادّة مثل فقدان الصبر

---

٧٦) معرفة النفس الإنسانية في القرآن والسنة ، سامح عاطف الزين ،

٧٧) انظر قاموس إصلاح الوجوه والنظائر ،الحسين بن محمد الدامغاني ،تحقيق عبد العزيز الأهل ،دار العلم للملايين ، بيروت ،ط٤، ١٩٨٣م ، صفحة ٢٨٦.

واختلال التوازن، فضلاً عن أنّ الحذف أدّى إلى التركيز على دلالة الخبر إظهاراً للمعجزة."(٧٨)

وتخيّل الآية لنا بلون من ألوان التصوير البديع عاطفة الأمومة المندفعة في جسدها في تلك اللحظة ، ومدى الفرح الذي سكن نفسها وبدت مظاهره عليها من خلال الضحك، وهي التي طالما ظنّت أنها لن تشعر بهذه العاطفة أبداً ، وهي التي استقرّ في نفسها معنى العقم ، وزاد التقدم في العمر من ظنها ببعد هذا الأمر عنها ، ويكاد المتأمل في تركيب العبارة ينفطر قلبه حزناً عليها لمّا بادرتهم بجملة يصعب على أي امرأة سواها أن تنطقها وتقرّ بها ، فالقضية تمس كيانها بعمق ، إلا أنها صارحتهم بها وقالت: "عجوز عقيم" ويعود الإيقاع الصوتي ليبرز التناسق الفني البديع بين معنى الآية وطبيعة مفرداتها حينما يبثّ هذا الانزعاج من التقدم في العمر من خلال الصّفير الحاصل في لفظة "عجوز" ومن خلال تأوه حزين يبثه الناطق للآية في مد يتطابق اسمه مع شعور امرأة عانت من هذا العقم طويلاً فهو مدٌ عارض للسكون ، يمده القارئ مداً يسيراً ثم يطبق على هذا الصوت ويضم شفتيه ويكتمه : "عقيم" .

إني وكلما نطقت هذه الآية تصوّرت لي ملامح أمي سارة رضي الله عنها وهي تضم شفتيها حزناً وألماً ، ويسير من تعجب بدأ يسري في جسدها لما سمعت كلامهم ، ورغم هذا التعجب وصكّ الوجه ، وما في اللفظة من وجع وألم وتحسّر ، فإنّ ترديد اللفظة كفيل بالإحساس به ، إلا أنّ لفظها ليؤكد لي أنها لا زالت تحلم كأي أنثى بطفل يخرج ما فيها من حب وشغف ويحقق كينونتها كأم ، وهذا ما لمحته من خلال التركيب البنيوي للجملة فهي عليها من الله كل سلام ورحمة قدّمت كونها عجوزاً على كونها عقيم ، وكأنها تخبرهم أن المانع الأول هو التقدم في السن ، وأخّرت كونها عقيمة ، هي كذلك نفس المؤمل بأي أمر في هذه الدنيا تتشبث بما تريده ولا تتخلى عنه ولو بدا لها أنها لن تحصل عليه أبداً إلا أنها في أعماق سريرتها لا تزال تحمل الأمل به ، وما فقدته يوماً ، ولا يصوّر أي لفظ أو تركيب ذاك الفرح الذي سكنها لما أيقنت أنها ستنجب بل ستغدو جدة لأحفاد صالحين فنرى النص القرآني قد صمت وترك للمتدبر تلك الفسحة من التخيل ليعملها في تجسيد الموقف.

---

٧٨) جماليات الإشارة النفسية ، صالح ملا عزيز ، صفحة ٢٢٠

ب) الفرح الوارد بمعنى التعجب : وهو ما ذكر في قصة نبي الله سليمان عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (سورة النمل الآيتين ١٨ و١٩) وذلك حينما سار عليه السلام بجيشه ،حتى وصل لواد كثر فيه النمل وسمع تحذير نملة لقومها وخوفها عليهم من تحطيم جيش سليمان لهم، والبسمة التي ظهرت من سليمان عليه السلام في هذا السياق هي بسمة المتعجّب، والبسمة أو التبسّم هي أضعف حالات الضحك، ولفظة ضاحكا : هي حال مؤكدة لتبسّم ، ويشار هنا إلى أنّ ضحك الأنبياء غالبه التبسم كما ورد في صفة ضحك رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، أو ما يقرب من التبسم كظهور النواجذ كما ورد في بعض صفات ضحكه عليه الصلاة والسلام . وبالعودة إلى الآية فإن أسباب هذا التعجب والتبسّم قد عددها العلماء فمنهم من قال إنّ سببه هو معرفة النملة لسليمان عليه السلام وذكرها لاسمه ومنهم من قال إن سبب تبسمه هو تعليل النملة لما قد يحصل من تحطيم ، وهو كون نبي الله سليمان وجيشه لن يشعروا بهم ، "فوسمته وجنده بالصلاح والرأفة ، وأنهم لا يقتلون ما فيه روح لغير مصلحة، وهذا تنويه برأفته وعدله الشامل بكل مخلوق ، أجراه الله على نملة ؛ ليعلم شرف العدل ولا يحتقر مواضعه ، وأنّ ولي الأمر إذا عدل سرى عدله في سائر الأشياء ، وظهرت آثاره فيها حتى كأنه معلوم عند ما لا إدراك له ، فتسير أمور جميع الأمة على عدل . ويضرب الله الأمثال للناس ، فضرب هذا المثل لنبيه سليمان بالوحي من دلالة نملة ، وذلك سر بينه وبين ربه ، جعله تنبيها له وداعية لشكر ربه ، فقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك ." [٧٩]

وأما المواضع الستة المتبقية للضحك فقد وردت بمعنى السخرية والاستهزاء ،كما ورد في وصف حال الكافرين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴾ (سورة المطففين

---

٧٩) التحرير والتنوير ، محمد بن عاشور ، (٨/ ٢٤٣) .

الآية٢٩) أي يستهزؤون بهم ويسخرون منهم ، أو قوله تعالى: ﴿ أَفَمِنْ هَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾ (سورة النجم الآيتين٥٩-٦٠) وفي الآية استفهام إنكاري مفاده الإنكار على الكفار إعراضهم عن ذكر الله واستهزاؤهم وسخريتهم من هذا الحديث .

وورد هذا المظهر بهذا المعنى في القصة القرآنية مرة واحدة وذلك في سياق قصة نبي الله موسى عليه السلام وحاله مع فرعون وقومه: ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَـٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴾ (سورة الزخرف الآية ٤٧)، حيث تُظهر لنا الآية الكريمة من خلال قوة العرض والإحياء فيها رسماً للشخصيات ، واضحاً حيّاً لأمثال هؤلاء من الكفار، فهم في استهزائهم منغمسون ، ولا تكاد تنفك عنهم هذه الصفة في كافة معاملاتهم مع نبيهم ، أو من آمن معه ، حتى غدت هذه حالةً تصفهم وهذه الحال نراها على هيئة الفعل المضارع لتفيد الاستمرارية ، وبهذا تختزل لنا هذه اللفظة : "يضحكون" عدة خصائص للتصوير الفني البديع ففيها خاصية قوة العرض والإحياء وفيها خاصية التناسق الفني من خلال الفعل المضارع وما يفيده من استمرارية وفيها خاصية الحياة الشاخصة التي تجعل المتدبر للآية يكاد يسمع ضحكات سخريتهم المستمرة واستهزائهم بذكر الله جلّ وعلا .

ووجدت في الآية معنى من معاني الدعوة عميق ، يواسي الله تعالى به حملة الدعوة وأصحاب الحق ، فلقد وجدت نبي الله موسى عبر عنه بالفعل المفرد ، وهو من جاء بالآيات والحق وحمل هم الدعوة لتوحيد الله وإعلاء كلمته في الأرض وعمارتها ، ووجدت الكفار الجاحدين بآيات الله المستهزئين بها عبر عنهم بالفعل المفيد لكونهم جماعة ، وهكذا هي حال من أتى بالحق ضد أصحاب الباطل غالباً منذ قديم الزمان ، فهم بطغيانهم يضحكون جماعات ، ويواجههم براية الإسلام ويحملها فرادى أصحاب الدعوات .

وأنتقل الآن للحديث عن درجات الفرح في القرآن الكريم وهي :

١) درجة الابتهاج : والابتهاج هو :" الحُسْنُ يقال رجل ذو بَهْجَةٍ ،والبَهْجَةُ حُسْنُ لون الشيء ونَضَارَتُه ، وقيل هو في النبات النَّضارَةُ وفي الإنسان ضَحِكُ أسارير الوجه أو ظهورُ الفَرَح"[٨٠]

---

٨٠) لسان العرب ، ابن منظور ، (٢/ ٢١٦) .

لم ترد هذه الدرجة في القرآن الكريم لوصف حالة نفسية بشرية، وإنما وصفت بها الحدائق والثمرات التي أبدع العظيم خلقها، وذلك في ثلاثة مواطن في القرآن هي :

أ) ﴿ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴾ (الحج الآية ٥)

ب) ﴿ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ ﴾ (سورة النمل الآية ٦٠).

جـ) ﴾بَهِيجٖ زَوۡجِۭ كُلِّ مِن فِيهَا وَأَنۢبَتۡنَا رَوَٰسِيَ فِيهَا وَأَلۡقَيۡنَا﴿ (سورة ق الآية ٧).

٢) درجة الاستبشار : "جذرها في اللغة بَشَر، وهو يدلّ على ظهور الشيء بحسن وجمال، والبشرة ظاهر جلد الإنسان، والبشير هو من حَسُنَ وجهه ، والبشارة هي: الجمال، ويقال: بشّرت فلاناً أبشّره تبشيراً، وذلك يكون بالخير، وربما حُمِل عليه غيره من الشر. ويقال: أبشرت الأرض، إذا أخرجت نباتها. ويقال: بَشَرْتُ الأديم، إذا قشرت وجهه. والبشارة أصلها الخبر بما يُسَرُّ به المُخبَرُ، إذا كان سابقاً به كل مخبر سواه. والتبشير الإخبار بما يظهر أثره على البشرة وهي ظاهر الجلد؛ لتغيّرها بأول خبر يرد عليك.

والغالب أن يستعمل في السرور ، ولا يستعمل في الغمّ والشر إلا مقيّداً ، منصوصاً على الشر المبشر به؛ قال تعالى: ﴿ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (آل عمران الآية ٢١)". [٨١]

ويوضّح التعريف اللغوي مدى علاقة اللفظة اللغوية بالمعنى النفسي العميق ، لدرجة الاستبشار فقد سمّيت بذلك لما يحدثه هذا الانفعال على البشرة من تغيّرات .

و ورد الاستبشار في القرآن الكريم في خمسة وثمانين موضعاً [٨٢] :

تسعة عشر موضعاً منها فيها أمر للنبي محمد صلى الله عليه وسلّم بالإقدام على فعل التبشير، وذلك لصنفين من الناس :

الأول : وهو في سبع مواضع، أمر الله تعالى فيه النبي صلى الله عليه وسلم بتبشير الكفار والمنافقين بالعذاب الأليم.

والثاني : وهو في اثني عشر موضعاً، أمر الله تعالى فيه النبي محمد صلى الله عليه وسلّم بتبشير المؤمنين بأنّ لهم رحمة ومغفرة منه سبحانه ، جزاءً لصبرهم وإحسانهم وإخباتهم .

---

٨١) الجوهري ، إسماعيل بن حماد ، تاج اللغة وصحاح العربية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٠م ، (١٥٢/٣)

٨٢) استثنيت من التعداد لفظة " بَشَر" حينما تأتي بمعنى الناس ،وذلك بما يتناسب مع موضوع الرسالة .

وحمل الأنبياء صفة البشر ، ولازمهم وصف هذا الانفعال في دعوتهم بأنّهم "مبشّرون"، يبشّرون الناس بالأجر العظيم إن آمنوا بالله تعالى وأقاموا دينه، ويطمئنونهم بأنّ لهم عند الله ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت من النعيم الكثير ،حيث وردت هذه الصفة للأنبياء في سبعة عشر موضعاً بألفاظ مقاربة كقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سورة الإسراء الآية ١٠٥)

وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾(سورة الفرقان الآية ٥٦)، وقولـه تعالى: ﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ (سورة النساء الآية ١٦٥).

وغالباً ترد لفظة "البشرى" في القرآن الكريم في سياق تبشير الله تعالى لأنبيائه وعباده الصالحين بما يسرّهم ، وبما فيه استجابة لدعائهم ، وهذه هي المساحة الأكبر التي وردت فيها اللفظة ضمن الخمسة والثمانين موضعاً : وعلى سبيل المثال لا الحصر وردت هذه اللفظة في سياق تبشير الله تعالى لزكريا باستجابة دعائه: ﴿ يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيًّا ﴾ (سورة مريم الآية ٧) ، وقوله تعالى في حق إبراهيم عليه السلام وتبشيره سبحانه له ولزوجته بإسماعيل وإسحق عليهما السلام : ﴿ وَبَشَّرۡنَـٰهُ بِإِسۡحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (سورة الصافات الآية ١١٢) وقوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَـٰهَا بِإِسۡحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَـٰقَ يَعۡقُوبَ ﴾ (سورة هود الآية ٧١) وسواهما مما يشابهها من الآيات كثير .

ووصف الله تعالى الرياح الحاملة للخير والغيث بأنها مبشّرة لمن وصلت إليه من الخلق يستبشر بما يصاحبها من نفع يعود عليه، وذلك بأربعة مواضع مختلفة في القرآن الكريم ، وفي هذا دلالة واضحة على مدى ما تسببه هذه الرياح من انفعالنا المطروح في هذا الباب وهو الاستبشار:

﴿ وَمِنۡ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ ﴾(سورة الروم الآية ٤٦) وفي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦ ﴾(سورة الأعراف الآية ٥٧) وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ

ﭐلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ﭐلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦ ﴾ (سورة الفرقان الآية ٤٨) وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُرۡسِلُ ﭐلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ ﴾ (سورة النمل الآية ٦٣) .

ووصف الله تعالى وجوه المؤمنين يوم القيامة بأنّها مستبشرة ، أي أصابها البشر حتى غدا حالاً ملازما لها لا يفارقها وذلك بقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴾ (سورة عبس الآيات ٣٨ و ٣٩).

ونقرأ عن انفعال الاستبشار في القصة القرآنية في مواضع عدة منها :

١) حينما وجد المارّة نبي الله يوسف عليه السلام والتقطوه من البئر ، فتحصّل لديهم هذا الانفعال بما وجدوه حيث قال من وجده: ﴿ قَالَ يَٰبُشۡرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٞ ﴾ (سورة يوسف الآية ١٩)، وذلك لما سيتحصل لديهم من خير نتيجة إيجادهم لهذا الغلام ، فقد يستخدمونه لخدمتهم أو يبيعونه فينتفعون بثمنه ونحو ذلك .

٢) ولا نزال في دائرة قصة نبي الله يوسف حينما نجد انفعال الاستبشار مرة أخرى ، وذلك حينما وصف الله تعالى ذاك الرجل الذي حمل خبر يوسف لأبيه بعد طول غياب ، وأتاه بقميص ابنه بالبشير ، وذلك لما أحدثه في نفس يعقوب عليه السلام من استبشار وفرح كبيرين ، حيث قال تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ﭐلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَﭑرۡتَدَّ بَصِيرٗا ﴾ (سورة يوسف الآية ٩٦) وهذا يعيدنا لجزء من التعريف اللغوي للبشارة وهو : الخبر بما يُسَرُّ به المُخبَرُ، إذا كان سابقاً به كل مخبر سواه.

٣) ومن المواطن التي ورد فيها الاستبشار ، ما ورد من وصف لقوم نبي الله لوط عليه السلام حينما علموا بتواجد الرجال في بيته، قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ أَهۡلُ ﭐلۡمَدِينَةِ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ (سورة الحجر الآية ٦٧) .

ومن خلال التأمل في اللفظة وصياغتها التي جاءت عليها "يستبشرون" ، نجد أن التعبير بهذا النحو يكشف لنا عن مدى الوقاحة والبشاعة التي وصل إليها القوم في دنسهم وفجورهم، ومدى تعمقهم في الفاحشة والشذوذ المريض.فالفعل جاء بصيغة الجماعة ليكشف

عن هذا المدى في مشهد لأهل المدينة ، وهم يجيئون جماعة متواطئين، يستبشرون بالعثور على شبان يعتدون عليهم جهرة وعلانية، "هذه العلانية الفاضحة في طلب هذا المنكر ـ فوق المنكر ذاته ـ شيء بشع ، لا يكاد الخيال يتصور وقوعه ، لولا أنه وقع. فقد يشذ فرد مريض فيتوارى بشذوذه، ويتخفى بمرضه، ويحاول الحصول على لذته المستقذرة في الخفاء ، وهو يخجل أن يطلع عليه الناس، بينما أولئك القوم المنحوسون يجاهرون بها، ويتجمهرون لتحصيلها، ويستبشرون جماعات ، وهم يتلمظون عليها،إنها حالة من الارتكاس معدومة النظير."[٨٣] ويوحي الفعل المضارع المرافق لانفعال الاستبشار بالتجدد والمبالغة في الاستبشار الحاصل لديهم ، وكأنّ حصول الانفعال لمسبب بشع كهذا لا يكفي لوصف مدى الارتكاس الفطري من قبلهم ، ليضيف لذلك الارتكاس حالة من التجدد اللامنتهي من خلال إيراد الفعل المضارع.

إنّ هذا التصوير بتناسقه الفنيّ وبخاصية الحركة المتجددة فيه يرسم لنا الشخصيات رسماً لا يقلّ جمالاً وإتقاناً عما سبقه من التصاوير الفنية البديعة .

٣) درجة الفرح : أتى الفرح في القرآن الكريم على معنيين كما أدرجت في التعريف اللغوي له سابقاً، فأولهما أتى بمعنى السرور ، وثانيهما بالمعنى المذموم وهو التكبر والبطر.

وجاءت مشتقات هذه اللفظة في القرآن الكريم في نحو واحد وعشرين موضعاً ، ثلاثة عشر منها متعلقة بالصورة المذمومة المكروهة له كقوله تعالى : ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾(سورة المؤمنون الآية ٥٣)أي : " تفرق القوم الذين أمرهم الله من أمة الرسول عيسى عليه السلام بالاجتماع على الدين الواحد والملة الواحدة ، تفرقوا زبراً أي كتباً ، فدان كل فريق منهم بكتاب غير الكتاب الذي دان به الفريق الآخر، وهم بما اختاروه لأنفسهم من الدين والكتب ، فرحون معجبون به ، متكبرون عن الحق ، فلا يرون أن الحق سواه. "[٨٤]

وقوله تعالى: ﴿ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ (سورة هود الآية ١٠) . يخبر الله تعالى عن طبيعة الإنسان وما فيه من الصفات الذميمة ، إلا من رحم الله من عباده المؤمنين ، فإنه إذا أصابته شدة بعد نعمة ، شعر باليأس والقنوط من الخير بالنسبة إلى المستقبل ،

٨٣) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، (٤/ ٢١٤٩) .

٨٤) الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠١ ، الجزء الثامن عشر ، صفحة ٣٩٠ بتصرف يسير .

والكفر والجحود لماضي الحال ، كأنه لم ير خيراً ولم يرج بعد ذلك فرجا، وإن أصابته نعمة بعد نقمة ليقولن ذهب السيئات عني ، أي يقول: ما بقي ينالني بعد هذا ضيم ولا سوء، إنه لفرح فخور: أي فرح بما في يده ، بَطِر فخور على غيره.(٨٥)

وبيّن الله تعالى خبث نفوس الكافرين وما يحملونه من حقد وكراهية تجاه المؤمنين حينما بيّن لهم ما يطوونه من حب السوء والرغبة في أن ينالوهم بالأذى وذلك من خلال آيتين هما: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴾ (سورة التوبة الآية٥٠) والآية : ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ ﴾(سورة آل عمران آية ١٢٠).

وفي القصة القرآنية فقد ورد انفعال الفرح في موضع وحيد هو ما كان في قصة قارون حينما قال له قومه: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ (سورة القصص الآية ٧٦) وذلك لما رأوه من تكبر وبطر أصابه بسبب ثروته الكبيرة .

وأما المعنى الإيجابيّ للفرح وهو: إظهار السعادة ، فقد ورد في ثمانية مواضع منها قوله تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾(سورة يونس الآية ٥٨) وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا ۖ ﴾ (سورة الروم الآية ٣٦) .

وفي الحديث القرآني عن انفعال الفرح بيّنت آيات القرآن الكريم لنا أنه قد يصاب الإنسان بالفرح ، وتظهر عليه ملامح السعادة في الدنيا ، إلا أنه قد خسر نفسه ، وستنال منه الحسرات يوم القيامة، فما كل من ظهرت عليه علامات السعادة في الدنيا سيغدو من سعداء الآخرة الباقية ، ولا كل من ابتأس في هذه الحياة بما لاقاه من ابتلاءات ومحن من أهل الحزن يوم القيامة ووجدت الآيات التي تصف المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك وهي في قوله تعالى: ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ

---

٨٥) القرطبي ،أبي عبد الله محمد بن أحمد ، الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق : سالم البدري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠م ، (٥/ ٩) بتصرف يسير .

قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾

(سورة التوبة الآيتين ٨١ و٨٢) .

تصف حالة من الفرح والسعادة ، اعترت هؤلاء المنافقين إلا أنّ هذا النوع من الفرح عابر زائل آنيّ ، ولربما يتوهم الناظر إليهم في تلك اللحظة تحصّل السعادة لديهم ، والجاهل قد يتمنى أن يكون معهم يشاركهم فرحهم هذا ، إلا أن من تدبر حالهم وأدرك حقيقتهم علم أنه الفرح على أبواب الشقاء ، وأيقن أن هؤلاء القوم ظاهرهم الفرح وحقيقة أمرهم التعاسة والحزن الأبدي، وأي فرح بالتخلّف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه. وكم تمثّل هذه الآية واقعاً نعيشه ونراه في كل يوم ، من أناس يتمنون سعادة حظي بها المنعمون بالدنيا المترفون بقشورها المنغمسون في كل حرام ، والمتخلفون عن كل ما فيه رضى لله تعالى ورسوله ، فيتمنّون أن يحظوا بفرح كما حظي هؤلاء ، وما أدركوا وعلموا أنهم أهل الحزن والندم في الحياة الحقيقية الأبدية وهي الحياة الآخرة، فسبحان من علّم الإنسان بمثال قصير ضربه وأغناه عن طويل الأحاديث والشروح.

ومما يجدر ذكره أنّه قد يرد تصوير الانفعال بألفاظ غاية في البيان والجمال ، ولو لم تصرّح الآية باسم هذا الانفعال لكنها دلّت عليه وأبرزته وأوحت لمتلقيها به ، وحيث أنّ هذه الرسالة تتناول فقط ما صرّحت به الآيات من انفعالات فإنني سأقتصر على ذلك وأسأل الله تعالى أن ييسّر من العمر والعلم ما أفرد فيه بحثاً يتناول الانفعالات النفسية التي دلّت عليها الآيات وصوّرتها ولم ترد فيها صراحة ، ولكني على سبيل تبيان ما أعنيه أورد ما صوّره القرآن الكريم من انفعال الفرح في قوله تعالى :

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾(سورة يوسف الآية ٩٤)؛ "فالرائحة تُشمُّ ولاتُوجد؛ لأنّ الوجدان الحسي إمّا أن يكون باللمس، وإمّا أن يكون بالبصر، لكنّ يعقوب عليه السلام بدلاً من أن يقول: إنّي لأشمّ ريحَ يوسف قال: إنّي لأجدُ ريح يوسف، إذ انّ هذا التعبير أبعد عن الجانب الحسي المجرد، وأدلّ على الإفصاح عن حالته النفسية المشعرة بقرب الوصال بعد طول الغياب ، فسبحان من أنزل القرآن بلسان عربي مبين أوجز الفرح وعمقه بلفظة

واحده وهي (أجد)"[٨٦]. وكما ذكرت أن مثال هذه الآيات في القرآن كثير ، لا يصح إيراده هنا لما سيؤديه من صرف نظر عن الموضوع الأصلي الذي كتبت لأجله هذه الرسالة.

وختاماً فإنه قد لا يكون الضحك بدافع الفرح بل بدافع الاستهزاء والسخرية كما فعل الكافرون: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴾ (سورة المطففين الآيات (٢٩ - ٣٢).وقد أفردت المبحث التالي للحديث عن انفعال السخرية أوالتهكم وتصويره الفنيّ .

٨٦) جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني، صالح ملا ، صفحة ١٣٠

المبحث الثالث : السخرية وتصوير القرآن لها :

المقصود بالسخرية : "اقتران ما بين الضحك وعلاقة عدم الاحترام على شيء ما أو من شيء ما، والتي تتمثّل في الاحتقار أو الاستخفاف أو الاستهانة ." [٨٧] وقد ورد هذا المصطلح في آيات القرآن الكريم في نحو تسعة مواضع ، واحد منها فقط أتى ضمن القصة القرآنية وذلك في قوله تعالى ضمن قصة نبي الله نوح عليه السلام: ﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُۚ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ (سورة هود الآية ٣٨).

فالآية تظهر صورة نبي الله نوح عليه السلام ، وهو يبني السفينة التي أمره ربّه سبحانه وتعالى بتشييدها ، وتصوّره بحالة من الاستجابة بالبناء لا تتوقف من خلال الفعل المضارع "يصنع" ، وما فيه من استمرارية وديمومة ، وفي أثناء هذا الحدث يقطع عليه الساخرون عمله، ويلقون عليه عبارات السخرية والاستهزاء المقيت الفارغ ،"يسخرون من الرجل الذي كان يقول لهم: إنه رسول ويدعوهم، ويجادلهم فيطيل جدالهم؛ ثم إذا هو ينقلب نجاراً يصنع مركباً، إنّهم يسخرون لأنهم لا يرون إلا ظاهر الأمر، ولا يعلمون ما وراءه من وحي. شأنهم دائماً في إدراك الظواهر والعجز عن إدراك ما وراءها من حكمة وتقدير." [٨٨]

وأما نبي الله نوح عليه السلام فيكاد المتلقي للآية يصوّر ملامح وجهه ، وقد فاضت ثقة وطمأنينة وعزّة بأمر الله ، من خلال ردّه الواثق القوي ، حينما ردّ سخريتهم عليهم بقوله : "إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون" فلقد علمتم ظاهر الأمر واستهزأتم به ، ولكن ما خفي عليكم جليل عظيم ، ومن اللطائف المستفادة من هذه الآية ما أورده الدكتور فضل حسن عباس رحمه الله في تعقيبه عليها حيث قال : "وهذا موقف تعليمي للدعاة إلى الله ، أن لا ينهزموا أمام الباطل مهما كان قوياً منتفشاً وأن لا يظهروا بمظهر الضعف ، وما أجدرنا أن نفرّق بين الحكمة والضعف ، وبين الصبر والخور."[٨٩]

وتوضح الآية التي تلي هذا الموقف ما كان يعتلج في نفس نبي الله نوح عليه السلام من انفعال نفسي شديد القوة ، يتراوح ما بين الانزعاج من قومه و انتظار الفرج والنصر من الله تعالى

---

٨٧) مبادئ علم النفس ، محمد بني يونس ، صفحة ٣٠٤ .

٨٨) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، (٤/ ١٨٧٧) .

٨٩) قصص القرآن الكريم،فضل حسن عباس ، صفحة ١٨٥ .

وذلك حينما قال : ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (سورة هود الآية ٣٩)، كما ترسّخ الآية من خلال تصويرها البليغ لرد نوح عليه السلام منهجاً قوياً في الرد على من يشابه هؤلاء الساخرين بدين الله وأتباعه ، بالإضافة لما تضمنته من معانٍ نفسية عميقة؛ " فالتعبير بـ(سوف) دون (السين) الدالة على اقتراب العذاب والملائمة مع لغة الوعيد، جاء للدلالة على أنّ نوحاً عليه السلام كان يستثقل بقاءه بين قومه، ويستبطئ مجيء الطوفان الموعود، ولا سيما أنّه قد أُوحي إليه أنّه لن يؤمن من قومك إلاّ من قد آمن، وهذا يعني أنّ الزمن الذي أفادته أداة الاستقبال كان زمناً نفسياً، وليس زمناً فيزيائياً، وهو عائدٌ في حقيقته إلى أنّ سيدنا نوحاً عليه السلام كان يرى الزمن بطيءَ الخُطى، وما ذاك إلاّ لأنّه ضاق بقومه ذرعاً ، بعدما استفرغ كلَّ ما في وسعه لدعوتهم إلى الله ليلاً ونهاراً، ومن ثمّ شقَّ عليه العيش بين ظهرانيهم، فأحسَّ بطول الزمن ووطأته عليه ."[٩٠]

ومن الجدير ذكره أن آيات القرآن الكريم أظهرت تجسيداً وتصويرا بليغاً لأحد المظاهر الجسدية لانفعال السخرية وهو إمالة الرأس وتحريكه باستهزاء ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ۝ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ۝ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴾ (سورة الإسراء الآيات ٤٩-٥١).

إنّ الحركة المصورة في لفظة (فسينغضون) والتي تعني تحريك الرأس إلى أعلى وأسفل بقصد الاستهزاء والتعجب، تبيّن بدقة ما يحمله هؤلاء الكافرون من رفض لدعوة الإسلام ، والسخرية من تعاليمه، وتبيّن مظهراً من مظاهر الاستنكار المقرون بالكبر، وذلك حين أتاهم الجواب بأنّ الله الذي خلقهم في أول مرة قادرٌ على ردّ الحياة إليهم مرة أخرى، فتصورهم الآية من خلال قوة العرض والإحياء لهذا الانفعال ، فنراهم وهم يستهزؤون بما يقوله الرسول صلى الله عليه وسلم عن البعث بعد الموت، ونرى رؤوسهم وهي تنغض تهكماً، "وفي الجار والمجرور (إليك) تمثيل لهذه الحركة في وجه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، لتغدو الصورة الساخرة ماثلة للعيون بكلّ أبعادها،وحاضرة في الذهن بكل خطوطها." [٩١] ومما أجده أنه يزيد في تصوير السخرية والتهكم من قبلهم في السؤال "من يعيدنا" ، ويكاد المرء يتصور حركة رؤوسهم

---

٩٠) جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني ، صالح ملا عزيز ، صفحة ١٩٦ بتصرف يسير.

٩١) جماليات الإشارة النفسية ، صفحة ٩٣ بتصرف يسير .

المستهزئة مع نبرة أصواتهم بسؤال تهكمي بشع ، قد امتلأ بالإنكار والسخرية ، فلا أجمل ولا أبلغ من الرد الربانيّ الذي أصمتهم وأخمد تكبّرهم واستهزاءهم "الذي فطركم أول مرة" ! ، ولعل الحجارة والحديد الواردين في الآية قد يلين طبعهما لذكر الله ، ومثل هؤلاء من المستهزئون لا تلين قلوبهم ، فإيراد الحجارة والحديد بالذات يستحيل أن يكون من باب الصدفة في مثل هذا المقام ، ولعل ما أوردته من تعليل هو أحد أوجه التي تعلل ذكرهما بنحو خاص دون غيرهما والله تعالى أعلم وأحكم سبحانه .

المبحث الرابع : الندم وتصويره القرآن له:

الندم لغة : "هو من الأسف، يقال نَدِمَ على الأمر أي أسِفَ عليه وكرهه بعدما فعله."[٩٢].
أما عن ورود انفعال الندم في القرآن الكريم فقد كان في سبعة مواضع ، اثنان منها فقط اندرج ضمن القصص القرآني وهما :

١) ما ورد ضمن قصة ابني آدم عليه السلام حينما قتل أحدهما أخاه غيرة وحسداً منه ثم اعتراه الندم : ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾(سورة المائدة الآية ٣١).

ووردت هذه القصة في سياق البيان لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين ، عن كون الحسد الذي تملك قلوب اليهود وحجبهم عن الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم ودفعهم لعداوته، هو صفة متجذرة فيهم وليس بالأمر الجديد، كما حملت الآيات تسرية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين .

وتوضح القصة كيف أنّ اعتداء البشر بعضهم على بعض موجود منذ القدم، وتبين "ما جبلوا عليه من حب الكمال ، وما يتبعه من حسد الناقص لمن يفوقه في الفضائل والأعمال ، وكون الحاسد يبغي إن قدر، ما لم يزعه الدين أو يمنعه القدر، وهو لا يبغي ولا يقتل إلا وهو يظن أن ذلك خير له وأنفع ، ومثل هذا الظن لا يزول من الناس إلا إذا أحاط كل فرد من أفرادهم علما بكل شئون المعاش والمعاد ، وارتباط المنافع الشخصية بمنافع الاجتماع ، وأقاموا الدين القيم كلهم على الوجه الذي أراده الله ، وكل ذلك محال ؛ لأن طبيعة البشر تأباه ، فهم يخلقون متفاوتين في الاستعداد للعلم ، وما يرد على أنفسهم من صور المعلومات بأنواعها يختلف ، وما يتحد منه يختلف تأثيره الذي يترتب عليه العمل؛ فالاختلاف في العلم والرأي والشعور والوجدان طبيعي فيهم ، ومن لوازمه النافعة اشتغال كل فريق منهم بنوع من أنواع الأعمال ، وبذلك يظهرون أسرار الله وحكمه في الكائنات ، وينتفعون بما سخره لهم من أنواع المخلوقات ، ومن

٩٢) المعجم الوسيط ، صفحة ٩١١

لوازمه الضارة التخاصم والتقاتل، لأجل هذا صاروا محتاجين إلى الحكام والشرائع"[٩٣]

وبالعودة إلى المعنى المطلوب من الآية في هذا المقام وهو تصوير انفعال الندم ، فإن لفظة "يا ويلتى" كفيلة بتخييل العواطف والانفعالات ، التي لازمت ابن آدم حينما أدرك شنيع فعلته ومقدار تحسره وندمه ، فهي من "صيغ الاستغاثة المستعملة في التعجب"[٩٤] والتحسر، ومن ثم يتجلّى التناسق الفنيّ في الآية حينما يبرز الاستفهام الاستنكاري المنطلق بحسرة من ابن آدم عليه السلام مدى الندم والألم الذي أصابه ولكن لات حين مناص ، فقد جاءه متأخراً فلا نفعه ولا ردعه .

وكم رسم هذا التعبير لنا الشخصية رسماً دقيقاً نكاد نتأمل فيه وجه القاتل كأنه ماثل أمامنا وعليه ما عليه من الندم والحسرة ، وذكرتني هذه الآية بقول الإمام عبد الله دراز رحمه الله في كتابه "النبأ العظيم" ، واصفاً روعة التصوير في القرآن الكريم : " تقرأ القطعة من القرآن فتجد في ألفاظها من الشفوف والملامسة والإحكام كأنك لا تسمع كلاماً ولغات ؛ بل ترى صوراً وحقائق ماثلة "[٩٥].

فالتصوير الوارد في الآية لا ينحصر على تصوّر عقلي محض ، إنما قد تغلل في إحساس من اطلع عليها فامتزج بإدراكه ، و غدا واقعاً ملموساً يُحَسّ .

٢) ما ورد ضمن قصة قوم النبي صالح عليه السلام لمّا عقروا الناقة ، وقد نهاهم نبيّهم من قبل عن المسـاس بها بسوء فلم يستجيبوا له، قال تعالى: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصۡبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴾ (سورة الشعراء الآية ١٥٧).

في الآية خاصيتين راقيتين من خصائص التصوير الفني في القرآن الكريم وهما : **خاصية التناسق الفني** في تأليف العبارات ، الذي يصوّره لنا حرف العطف المفيد للتعقيب "الفاء"، فالندم قد تحصّل فور نزول العقوبة التي عقبت فعل العقر بسرعة لا أدلّ على مقدارها من حرف واحد وهو الفاء ، فلا أطالت الآية بشرح سرعة انتقام الله

---

٩٣) رضا ، محمد رشيد ، تفسير المنار، المكتب الإسلامي ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤، الجزء الثاني ، صفحة ٣١٩

٩٤) التحرير والتنوير ، محمد بن عاشور ، (١٧٣/٣) .

٩٥) دراز ، محمد عبد الله ، النبأ العظيم ، صفحة ١١٧

تعالى منهم فور قتلهم للناقة ، ولا أسهبت في بيان تسلسل الأحداث وترتيبها ترتيباً جافاً لا حياة فيه ، إنما اكتفى السياق القرآني باختزال الأحداث في حرف واحد دلّ على أحداث عديدة.

وفي الآية أيضاً **تخييل حسيّ لحركة سريعة متخيلة** سببها حسن التعبير وهي هنا لفظة "العقر" ، وتعني قتل الناقة من خلال ضرب ساقها ، فاللفظة توحي بسرعتهم ومبادرتهم في قتلها بهذه الوحشية وقد حرّم عليهم من قبل المساس بها **!** وتخيل لنا تخييلا حسيا لحظة سقوط الناقة مقتولة أمامهم ، وقد أصابهم الكبر حينها بقتلهم السريع للناقة سرعة الفاء المرتبطة بالفعل .

وأورد الآن أحد المظاهر الجسدية التي صورها القرآن الكريم لانفعال الندم وهو عضّ الظالم على يديه ندماً يوم القيامة، ففي الآية الكريمة : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً ﴾ (سورة الفرقان الآيتين ٢٧-٢٨) ، ويلمح المتدبّر جمالية التصوير الحسي لانفعال الندم من خلال إيراد حرف الاستعلاء "على" وما تحمله من تصوير بليغ لمقدار الندم المتحصّل لهذا الظالم، وفي هذا الحرف إشارة لمدى إطباق الظالم على يديه ، وتبيان لكمّ الحسرة التي سكنته ، فما كان منه إلا أن ينتقم من جسده بهذه الصورة الشنيعة .

"ويظهر لنا جليّاً الفرق الدلالي بين (يعضُّ على يديه) و(يعضّ يديه)، فاللفظ الأول بوجود (على) يشعرنا بأنّ الظالم يستجمع جلّ قواه لينقضّ على يديه لشدّة ندمه."[٩٦]

ويتجلّى الندم بمظاهره أيضاً من خلال أسلوب التحسر " يا ويلتى " وفيه ما فيه من معاني الندم ، وأما عمق هذا الندم فتجلّى من خلال تكرار هذا الأسلوب في الآية الثانية وهو في قول الظالم : (يا ليتني) ، ولحرف النداء في كلا الموضعين أثر عميق في تصوير هذا المشهد ، ولا يغيب التناسق الصوتي البديع الذي يحدثه حرف النداء هنا من خلال ما يضفيه من جماليات على صورة هذا النادم المتحسّر. " ومن الجدير ذكره أنّ التصوير القرآني البديع حينما وصف موقف الظالم يوم القيامة وما ينشره من آهات الندم وصرخات الأسى يُرتّب الجملَ دون عاطف ، وكأنّ الجمل

---

٩٦) انظر جماليات الإشارة النفسية ، صالح ملا عزيز ، صفحة ١٩١ .

المفصولة عن بعضها البعض تعبّر عن شعوره بالتمزّق والتقطّع حين ينتبه من غفلته بعد فوات الأوان.(٩٧)

وليست هذه المرة الأولى التي يبرز فيها التصوير القرآني تبعات انفعال الندم من تقطعات داخلية ، وتوتر حاصل من شعور الأسف ، فقد ظهر هذا النوع من التصوير من خلال ما وضحته قصة نبي الله موسى عليه السلام حينما وكز القبطي فأرداه قتيلاً ، ثمّ ندم بعد ذلك على فعله ندماً شديداً وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَـٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَـٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (سورة القصص الآيتان١٥و١٦).

" إنّ تعاقب الوصل بالفاء في الأحداث المتعلقة بحركة سيدنا موسى عليه السلام يصوّر لنا بداية سرعة اندفاعه لضرب الرجل القبطي ومن ثم شدة غضبه من حاشية فرعون، فالفاء تفيد التعقيب الذي طوى الزمن واختصر المسافات، كما دلّ الوصل بالفاء في استنجاد الرجل بموسى عليه السلام إلى الخوف من القضاء عليه، أمَّا الجمل التي بينت استدراك موسى عليه السلام لما فعله وندمه على قتله للرجل، فقد جاءت من غير رابط إلاّ في آخرها : ﴿ قَالَ هَـٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ﴾ ، وكأنّ في غياب الفواصل إشارة إلى سيطرة الانفعالات الحادّة والمصحوبةّ غالباً بتوترات نفسية وتقطعات داخلية بسبب الارتباك والقلق الحاصلين من الإحساس بالخطأ ومراجعة الذات " (٩٨)، واستغفار نبي الله موسى عليه السلام وحديثه الداخلي مع ذاته هنا يطلق عليه في علم النفس : مفهوم "الاعتراف" ، و لقد اتفق أنصار العلاج النفسي الديني على أنّ الخطيئة والشعور بالإثم يعدّان العنصر الأساس في تكوين الأمراض النفسية وسوء التوافق النفسي ، ولهذا فإنّ الاعتراف يزيل الشعور بالخطيئة والإثم ويخفف من عذاب الضمير، كما أنّ في الاعتراف نوعاً من الإفضاء والتنفيس والتفريج طلباً

---

٩٧) جماليات الإشارة النفسية ، صالح ملا عزيز ، صفحة ٢٤٣ بتصرف يسير .

٩٨) جماليات الإشارة النفسية ،صالح ملا عزيز ، صفحة ٢٤٦ بتصرف يسير .

للغفران من الله تعالى ، وذلك كما في قصة آدم عليه السلام وحواء حينما اعترفا بذنبهما لله تعالى بعد أكلهما من الشجرة : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ (سورة الأعراف الآية ٢٣)"[٩٩] وهذا الموقف يعدّ من وسائل الوصول إلى الاستقرار النفسي.

وفي ختام هذا المبحث يتبين أن آيات القرآن الكريم قد صوّرت انفعال الندم وشكلته ضمن محورين :

أولهما :على أنه انفعال سلبي ، إن جاء في سياق الانحصار داخل دائرة العجز وعدم الفاعلية ، ولم ينتج عنه أي تغيير أو رد فعل يغير الواقع أو الفعل المؤدي للندم.

وثانيهما : على أنه انفعال إيجابيّ ، لا تصح توبة المرء إلا إن وجد ؛ وذلك إن جاء في دائرة العامل الدافع والمحرّك للتغيير ، والارتقاء بالنفس ، ونهيها عن التقصير أو المعصية مرة أخرى، حيث تتخزن حرقة الندم والحسرة على التفريط في ذاكرة الإنسان ، وتتشكل بهيئة الحامي له وتمنعه من اقتراف ما يغضب الله تعالى مرة أخرى فيعلن بداية جديدة وتوبة تطهره وتزكيه بإذن الله.

---

٩٩) أبو مرق ، جمال زكي عبد الله ، سيكولوجية الإنسان في القرآن والسنة ، الخليل ، مطبعة الرابطة ، ط١ ، ٢٠٠٣ م ، صفحة ١٦١ و١٦٢.

المبحث الخامس : الخوف وتصوير القرآن له :

الخوف لغة : "الخَوْفُ الفَزَعُ وهو من خافَه يخافُه خَوْفاً وخِيفةً ومَخافةً"[١]
أما اصطلاحاً فالخوف : " توقع مكروه عن أمارةٍ مظنونة أو معلومة، كما أن الرجاء والطمع توقُّع محبوب عن إمارة مظنونة أو معلومة، ويستعمل ذلك في الأمورالدنيوية والأخروية ."[٢]

وهو : "انفعال فطري تجاه الخطر ، يدفع صاحبه إلى الابتعاد عنه ، أو الهرب منه ." [٣]

[٣]

ويعرّف على أنه : " انفعال المشاركة في الخطر ، ويظهر حينما يوجد تهديد في البيئة، أو قلة في المصادر ويفيد في حماية الجسم من الوقوع في الأضرار وأخذ الحيطة والحذر لمواجهة الأخطار" [٤] . والخوف يقابله الأمن ، حيث قال الله تعالى:﴿ ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفٍۭ﴾ (سورة قريش الآية ٤)

ويعتبر الخوف من الانفعالات النسبية التي تتفاوت من شخص لآخر، تبعاً للعوامل البيئية والجسمية والنفسية التي مرّ بها الإنسان في حياته .

وفرّق علماء النفس بين الخوف الغريزي ، المتولّد بسبب وجود غريزة البقاء ، الذي لا علاقة له بالتجارب الفردية ، إنما يوجد بوجود الإنسان وبين الخوف المكتسب ، الحاصل لديه نتيجة تجاربه ومعارفه في الحياة، وكون الخوف مرتبطاً بغريزة البقاء فإنّه يجعل صاحبَه "يتوهّم نوعاً من البقاء في كل ما يحبه ، بل لا يحبّ شيئاً إلا بعد توهّمه البقاء فيه ، ولكن حالما يتفكر في زواله أو يشاهد فناءه فإنّه يبدأ بالتألم" [٥] ، لذلك فالخوف من الموت أوفراق الأحبة تسببه هذه الغريزة التي تؤصّل في الإنسان حب البقاء .

---

١) لسان العرب لابن منظور ، مادة خاف .

٢) معجم مفردات ألفاظ القرآن ،الأصفهاني ، الجزء الأول ، صفحة ٢١٥

٣) معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة ، سميح الزين ، صفحة ١٦١

٤) سيكولوجيا الدافعية والانفعالات ، محمد بني يونس ، صفحة ٢٣٢

٥) النبراوي ، خديجة ، مشكلات نفسية للإنسان "بحث مستقل من رسائل النور للإمام سعيد النورسي" ، دار سوزلر للنشر ، مصر ، ط٢ ، ٢٠٠٢ م ، صفحة ٢٥

وتجدر الإشارة إلى أنّ انفعال الخوف المتناول في هذا المبحث متعلق فقط بما يحصل للإنسان من شعور تجاه المهدّدات الدنيوية ، أما الخوف من الله تعالى فمن المعلوم بداهة أنه لا يرتبط أبداً بالمعنى السابق للخوف ، ولا يقصد به الشعور الذي ينتاب أي إنسان حين يستشعر الخطر نتيجة لوجود مؤثر خارجيّ يفزعه كاقترابه من وحشٍ بريّ ونحو ذلك، وإنما يراد به الشعور المؤدي للانتهاء عن المعاصي والتزام الطاعات ، فالخوف من الله تعالى هدفه الحث على التقوى والتحرّز من المعاصي، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران ١٧٥) أي فلا تأتمروا بأمر الشيطان وائتمروا بأمري .

ومثاله أيضاً الخوف الذي وصف به الرجلان المؤمنان من قوم موسى عليه السلام حين أمرا قومهما بتنفيذ أمر الله تعالى بدخول الأرض المقدسة وعدم عصيان أمر نبيهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(سورة المائدة الآية ٢٣). فالآية بينت مدى ملازمة الخوف من الله تعالى لهذين الصالحين حتى غدا حالاً ملاصقاً لهم في كل حين،يُعرفون ويوسمون به يمنعهم من معصية الله تعالى ومخالفة أمره ، لذا فإنّ هذا النوع من الخوف - أي من الله تعالى - وإن اشتملت عليه آيات القصص القرآني فإنه مستثنى من دائرة البحث هنا .

**** جوانب الخوف** : "

١) الخوف من الأمور الحقيقية : وهو الناشئ من الأشياء الخارجية في بيئة الإنسان كالخوف من الأماكن المظلمة ونحوها.

٢) الخوف من الأمور المتوهمة : وهو الناشئ داخل الإنسان ومرتبط بغريزة عنده ، كالخوف من الانهيار أو الخوف من الموت، وهو في بعض الحالات لا معنى له إنما قائم على الأوهام أو الظنون .

**** مظاهر الخوف :**

للخوف مظاهر خارجية وتغيرات داخلية (فسيولوجية ونفسية) تظهر على الخائف من أهمها:

١) ما يظهر على ملامح الوجه : كاتساع العينين وارتفاع الحاجبين وصكّ الإنسان لأسنانه ووقوف الشعر .

٢) التغيّر في لون البشرة : خلال اللحظات الأولى من وقوع الخوف ، يتدفق الدم بكميات كبيرة إلى وجه الإنسان ، متزامناً مع تصبب كميات وافرة من العرق، وحينما يبرد هذا العرق يتسبب بانخفاض درجة حرارة الجسم ، مما يحوّل لون البشرة إلى اللون الأصفر . وإن استمرّ الخوف واشتدّ فإنّ لون البشرة قد يتحوّل إلى الزرقة المشوبة بالصفرة.

٣) اضطراب حركات الجسم والأطراف : فالخوف الشديد يؤدي إلى تفكك المفاصل والارتعاش وكثرة الحركات العشوائية الرتيبة ، ويؤدي أحياناً للعجز في الحركة.

٤) التغيّر في صوت الخائف ومدى تحكمه في نبرته: فالخائف يعجز عن ضبط كلامه أحياناً ويصيبه جفاف في الحلق، ويصاب برعشة في صوته ، وفي حالات الخوف الشديد قد يتوقف الكلام تماماً أو يحل مكانه الصراخ والبكاء.

٥) التغيرات الفسيولوجية الداخلية : وتتضمن تغيرات في جهاز الدوران الدموي والتنفس وتدفق كبير لهرمون الأدرينالين بالدم .

٦) الاضطرابات في العمليات المعرفية ، كالاستيعاب والتذكر والتفكير وفي قوة التركيز والتواصل مع المحيط .[١]

---

١) سيكولوجيا الدافعية والانفعالات ، محمد محمود بني يونس ، صفحة ٢٤٤ ، بتصرف .

**** درجات الخوف :**

الخوف يكون على درجات منها : الفزع والرعب والرهبة والوجف والوجل.

أ) الفزع : لغةً : "الفَرَقُ والذُّعْرُ من الشيء ، وهو في الأصل مصدرٌ فَزِعَ منه وفَزَعَ فَزَعاً وفَزْعاً وفِزْعاً وأفزَعه وفَزَّعَه أخافه ورَوَّعَه فهو فَزِعٌ" [٢]

وأما اصطلاحاً : فهو "انقباض ونِفار يعتَري الإنسان من الشيء المخِيفِ ، وهو من جنس الجزعِ ولا يقالُ فَزعتُ من الله كما يقالُ خِفْتُ منه." [٣]

فالفزع انقباض في النفس ينتج عن تفكير الإنسان للذي يعتريه من الأشياء المخيفة ، قال الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴾ (سورة النمل الآية ٨٧).

ويقول تعالى في وصف المؤمنين يوم القيامة : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ﴾ (سورة الأنبياء الآية ١٠٣).

ووردت لفظة الفزع باشتقاقاتها ست مرات في القرآن الكريم ، منها مرة واحدة في القصة القرآنية وذلك ضمن قصة نبي الله داوود عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۝ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾ (سورة ص الآيتان٢١ـ ٢٢).

وسأعرض لشرح الآية متغاضية عن كمّ الإسرائيليات الهائل المرتبط بها ، والذي وجدته قد سودت به غالب كتب التفسير ، بما لا يصح نقله دون تثبّت ، ضمن سير الصالحين ، فضلاً عن أنبياء الله ورسله ،فالذي أتبناه كرأي راجح في تفسير الآية الكريمة هو أنّ نبي الله داوود عليه

---

٢) لسان العرب ، ابن منظور ، (٨/ ٢٥١)

٣) مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، الأصفهاني ، (٢/ ٤٩٠)

السلام تعرّض لاختبار وامتحان من الله تعالى الهدف منه هو أن يتمكن نبي الله داوود عليه السلام من كافة أصول الحكم العادل والخلافة الرشيدة ، وذلك من خلال مثال يحاكي واقع الناس الذين يحكمهم كملك ، حيث أرسل الله تعالى له ملكين على هيئة البشر [٤] وقاموا بمداهمته في محراب عبادته وارتقوا على السور المحيط بذاك المحراب ، الأمر الذي أفزعه وفاجأه جداً ، حتى بدا ذلك على ملامحه فبادروه بقولهم "لا تخف" فهو عليه السلام لا يدرك حقيقة أمرهم وأوحت إليه نفسه كردة فعل سريعة واستجابة فورية أنّ مثل هذا التسوّر لا يصدر إلا ممن يريد شراً أو أذية ، وفي الآية تخييل لعاطفة الفزع بليغ ، فالآية حددت الانفعال على أنه فزع .

وهو كما ذكرت في تعريفه ناشئ عن رؤية الإنسان لما يخيفه ، فنبي الله داوود لم يتغلل الخوف في نفسه بشدة ليطلق عليه توصيف الخوف وإنما سببه هو حالة التسوّر تلك ، والدخول عليه من قبل هؤلاء الاثنين دون إذن أو سابق علم بقدومهما .

ووجدت في هذه الآية التفاتة نفسية في غاية الحسن والروعة ، نجدها في طلب هذين الرجلين في القصة لنبي الله داوود عليه السلام بألا يخاف ، مع أنّ انفعاله كان هو الفزع، فهم قد طالبوه بعدم الخوف ، والمعروف أنّ انفعال الخوف أشمل وأعم من الفزع بكثير ، حيث إنّ الفزع كما ذكرت سابقاً مرتبط بالأمور الخارجية التي تفزع الإنسان وحسب ، أما الخوف فهو انفعال عام متعدد الأسباب ، ففي طلبهم هذا إشارة ودعوة لأن يخرج من نفسه الأصل وهو الخوف وبالتالي ينسلخ معه كل فزع بالضرورة . وبالنظر لطبيعة هذا التصوير فإننا نجده قد جاء على هيئة خاصية التناسق الفنيّ .

ب) الرعب :لغة : " الرُّعْبُ والرُّعُبُ : الفَزَع والخَوْفُ،رَعَبَه يَرْعَبُه رُعْباً ورُعُباً فهو مَرْعُوبٌ ورَعِيبٌ أَفزَعَه وارْتَعَبَ فهو مُرَعَّبٌ ومُرْتَعِبٌ أي فَزِعٌ" [٥]

أما اصطلاحاً فهو: "الانقطاع من امتلاء الخوف يقال عنه : رعبته فرَعَبَ رُعباً فهو رعيب"[٦]

---

٤) لم أجد في كتب التفسير ما ينفي كون هذين الرجلين من البشر حقيقة لكني أوردت ما وجدت غالب المفسرين قد أوردوه في تفسيرهم للآية على أنّ الرجلين كانا من الملائكة وتمثّلا بهيئة البشر، وهذه قضية برأيي تحتاج إلى البحث والتقصي .

٥) لسان العرب ، ابن منظور ، (٤٢٠/١)

٦) معرفة النفس الإنسانية ،سميح عاطف الزين ، صفحة ١٦٥

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ (سورة الأحزاب الآية ٢٦)، وقوله تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥١).

ووردت لفظة الرعب باشتقاقاتها خمس مرات في القرآن الكريم، منها مرة واحدة في القصة القرآنية، وذلك في وصف أصحاب أهل الكهف: ﴿ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ (سورة الكهف الآية ١٨)، وفي الآية الكريمة إخبار للنبي صلى الله عليه وسلم عن حال أهل الكهف وهيأتهم داخله، ومدى الرعب الذي تثيره تلك الهيئة في نفس كل من يراهم .

ومن خلال التعريف يتضح أن درجة الرعب تعدّ من المراحل المتقدمة للخوف ، وهي كما جاء في تعريف الرعب تسبب انقطاعاً لدى الإنسان، وغالباً ما يصاحبه العجز عن التفكير والنطق ، وتحدث الحركة بدون تخطيط من الإنسان ، وإنما تأتي على هيئة لا شعورية سريعة مفاجئة، وهذا ما صوّرته الآية تماماً،حينما قدّمت الحركة وهي الفرار على الانفعال، فالإنسان في بداية الرعب يتحرّك وبسرعة، ومن ثم تعود إليه القدرة على التفكير بالتدريج الذي تتفاوت سرعته من شخص لآخر ، ويبدأ بالتفكير يما حصل معه وهنا في هذه الحالة نبأنا الله تعالى أن الإنسان فور تفكيره بما شاهده في الكهف ستمتلئ نفسه التي فرغت من كل شيء بالرعب وتفيض به. فلا شعور في هذا المقام سوى الرعب ولا وسع لسواه.

جـ) الوجف : " وَجَف الشيء يَجِفُ وَجَفاً ووجوفاً: بمعنى اضطرب، وقلب واجف : أي قلب مضطرب خائف، كما في قوله تعالى : ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴾ (سورة النازعات الآية ٩). وقد يأتي بمعنى سرعة السير : وجف البعير والفرس يجف وجفاً و وجيفاً: أي أسرع"[٧] وذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ﴾ (سورة الحشر الآية ٦).

ولم ترد هذه اللفظة في القرآن الكريم سوى في الآيتين المذكورتين سابقاً .

---

٧) الزبيدي ، محمد مرتضى ، تاج العروس ، تحقيق :عبد الفتاح الحلو ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٨٦، (٤٤٦/٢٤)

د) الوجل: هو لغة : " الفزع والخوف ، وجِل وجلاً بالفتح . " [٨]

وأما اصطلاحاً فهو : "رجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سطوته وعقوبته أو لرؤيته . " [٩]

وورد هذا الانفعال في خمسة مواضع في القرآن الكريم ارتبط في غالبها انفعال الوجل بالقلب كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ (سورة الأنفال الآية ٢)، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ (سورة الحج الآية ٣٥). وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴾(سورة المؤمنون الآية ٦٠).

وأما في القصة القرآنية فقد وردت هذه اللفظة مرتين في سياق قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام حينما أتته الملائكة تبشره بمهلك قوم لوط وتبشره بالذرية الطيبة : ﴿ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمۡ وَجِلُونَ ۝ قَالُواْ لَا تَوۡجَلۡ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ (سورة الحجر الآيتين ٥٢-٥٣).

هـ) الرهبة : لغة :" رَهِبَ بالكسر يَرْهَبُ رَهْبَةً ورُهْباً بالضم ورَهَباً بالتحريك، أي خافَ ورَهِبَ الشيءَ رَهْباً ورَهَباً ورَهْبةً خافَه " ([١٠]).

والرهبة مخافة مع تحرّز واضطراب ، قال تعالى :﴿ لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (سورة الحشر الآية ١٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ (سورة البقرة الآية ٤٠) وفي الآية تهديد لبني إسرائيل وللناس أجمعين أن يخافوا ربهم وحده وأن يفردوه بالخشية لأنه قادر

---

٨) لسان العرب ، ابن منظور ، (٧٢٢/١١) .

٩) الفيروزأبادي ،مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، تحقيق : محمد النجار ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ج٥ ، صفحة ١٦٥

١٠) لسان العرب ، ابن منظور ، (١/ ٤٣٦)

مقتدر عزيز جبّار، " ولذلك كان معنى الرهبانية : غلوّ في تحمّل التعبد من فرط الرهبة ، قال تعالى: ﴿ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا ﴾ (سورة الحديد الآية ٢٧)" [١١]

ولفظة الرهبة باشتقاقاتها وردت ثمانية مرات في آيات القرآن الكريم، اثنين منها في القصة القرآنية وبالتحديد ضمن قصة نبي الله موسى عليه السلام وهي :

أ) ﴿ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ ﴾ (سورة الأعراف الآية ١١٦) وتتحدث الآية عن صنيع سحرة فرعون يوم الزينة، لما تواعدوا مع نبي الله موسى عليه السلام ، وتصف محاولتهم لخداع الناس بسحرهم المزيف، من خلال بث شعور الرهبة القائم على الاضطراب أصلاً .

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى مفسراً هذه الآية : " وحسبنا أن يقرر القرآن أنه سحر عظيم، لندرك أي سحر كان، وحسبنا أن نعلم أنهم سحروا أعين الناس وأثاروا الرهبة في قلوبهم "واسترهبوهم" لنتصور أي سحر كان، ولفظ " استرهب " ذاته لفظ مصور فهم استجاشوا إحساس الرهبة في الناس وقسروهم عليه قسراً، ثم حسبنا أن نعلم من النص القرآني الآخر في سورة طه أن موسى عليه السلام قد أوجس في نفسه خيفة لنتصور حقيقة ما كان" [١٢]

ولا يكاد يخفى أنّ لهذه اللفظة إيقاعاً صوتياً يحمل سامعه إلى تلك اللحظة دونما تأخير، من خلال ما يبثه حرف الهاء الجوفي من إيحاءات بالرهبة الحقيقة .

ب) قوله تـعالى : ﴿ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ﴾ (سورة القصص الآية ٣٢)

تتحدث الآية عن أمر الله تعالى لموسى عليه السلام أن يضم يده لصدره ليذهب عنه ما ناله من الخوف بسبب رؤيته للحية ، وأورد الإمام البغوي تفسيراً كافياً رائعاً فيما يتعلق بالجماليات النفسية الناشئة بسبب حسن التصوير للألفاظ ، حيث قال : " وقال :ابن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهم : ما من خائف بعد موسى إلا إذا وضع يده على صدره زال

---

١١) معرفة الانفعالات النفسية في القرآن والسنة، سميح عاطف الزين ، صفحة ١٦٥

١٢) في ظلال القرآن ،سيد قطب ، (١٣٤٩/٣) .

خوفه، قال مجاهد: كل من فَزع فضمّ جناحيه إليه ذهب عنه الفزع. وقيل : المراد من ضم الجناح : السكون ، أي : سَكّن روعك واخفض عليك جانبك ، لأن من شأن الخائف أن يضطرب قلبه ويرتعد بدنه ." (١٣)

فالآية تصور رحمة الودود الرؤوف بعباده ، حينما علم فيهم خوفاً ، فألهمهم سبل الأمان، وعلم أنّ رعشة ذعر سرت بجسد نبيه وكليمه عليه السلام لما انتفض كعصفور رهب ، فأمره الرؤوف تعالى أن يضمّ جناحه إليه ، وفي جمال هذا التشبيه أقف عاجزة ليس بوسعي سوى أن أتذكر كلام شيخ البلاغة الجرجاني رحمه الله لما قال :" إنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبّهة ، ورفع من أقدارها وشبّ من نارها ، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ودعا القلوب إليها واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابةً وكلفاً ، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفاً . " (١٤)

وكما قال الجرجاني رحمه الله إنّ التصوير في القرآن الكريم قد جبل قلوب متدبريه على محبته والشغف به فصارت النفس لا تطيق تناول آية دون طويل تأمل بحثاً عن خيوط النور تحييها إن تلمستها ، وتسيل دمعها لما ترسمه من شخوص حية ، قد طواها زمان دنيا عن سامع الآيات إلا أنها أحيتها له ، فباتوا ما بين غدو ورواح في الخيال ، يستحضرهم بكامل انفعالاتهم وملامحهم فاللهم لك الحمد .

و) الخوف : وردت لفظة الخوف باشتقاقاتها مئة وأربعاً وعشرين مرة، اندرجت فيها تحت عدة سياقات منها :

١) الخوف من عذاب الله تعالى وعقابه : ﴿ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾(سورة إبراهيم الآية ١٤) وقولـه تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾(سورة الرحمن الآية ٤٦).

---

١٣) البغوي ، أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م ، الجزء الثالث ، صفحة ٤٤٥

١٤) الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن ،أسرار البلاغة ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩١م ، صفحة ١١٥ .

٢) الخوف من عدم إقامة شرع الله تعالى حق الإقامة: ﴿ إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٢٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً ﴾ (سورة النساء الآية ٣).

٣) الخوف بمعنى القتال : والمقصود بهذه الدلالة هو العلاقة المصورة بين السبب والمسبب، حيث جاءت لتعبّر نفسيّا عن حالة المنافقين حين القتال ، والأثر النفسي لهذه المواجهة عليهم ،فالقتال في سبيل الله من منظورهم ما هو إلا (خوف) يصيبهم فتدور أعينهم من شدته ،كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب هذا الخوف عادوا لعتوهم وزعزعتهم لأمن المجتمع الإسلامي .

وذلك في قوله تعالى: ﴿ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ ﴾ (سورة الأحزاب الآيتين ١٨-١٩).

٤) الخوف بسبب مؤثر خارجي : ومثاله غالب الآيات الواردة في القصص القرآني والمشتملة على انفعال الخوف ، وهو ما سيتناوله هذا المطلب بإذن الله .

**** الخوف في القصة القرآنية :**

ورد الخوف في القصة القرآنية في نحو الثلاثين موضعاً،جاء غالبها ضمن قصة نبي الله موسى عليه السلام، وتضمنت تبياناً وتفصيلاً عميقاً وشاملاً لانفعال الخوف ، فصوّرته بدقة .

وكوّنت للمطلع عليها تصوراً عن الخوف وبعض أسبابه ومظاهره وكيفية التعامل معه وعلاجه ، وتنقسم محاور الآيات التي ورد فيها الخوف إلى :

أ) آيات ورد الخوف فيها نتيجة لشعور أنبياء الله تعالى ورسله أومن اقتدى بهم من الصالحين ممن رضي الله عنهم بالخوف لما رأوه من إعراض قومهم عن هدى الله ، وخوفهم من أن يحل عليهم غضب الله وعذابه ، وذلك كخوف نوح عليه السلام: ﴿ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (سورة الأعراف الآية ٥٩) وفي موضع آخر: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ (سورة هود الآيتين ٢٥-٢٦).

وخوف نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴾ (سورة هود الآية ٨٤).

وخوف نبي الله هود عليه السلام على قومه عاد حينما قال: ﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (سورة الشعراء الآية ١٣٥) ، وفي موضع آخر: ﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (سورة الأحقاف الآية ٢١).

وخوف مؤمن آل فرعون على قومه حينما قال: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴾ (سورة غافر الآيات ٣٠-٣٢).

إنّ جميع الآيات السابقة متصلة بخيط واحد يوحّدها وتنتظم فيه ، وهو خيط الدعوة إلى توحيد الله تعالى والتحذير من عذابه ، ومن الخسران يوم لقائه، إنّنا نرى الدعاة إلى الله تعالى في هذه الآيات وقد تعددت أزمانهم ولغاتهم وتنوعت أممهم ، إلا أن نفوسهم واحدة وقلوبهم واحدة، يسيّرها حب الخير لغيرها وتفيض بالرحمة والشفقة عليهم ، إنّ نفوسهم جميعاً قد توحّدت بندائها المشفق على أقوامهم من أن يصيبهم عذاب الله تعالى يوم القيامة ؛ لما وجدوه فيهم من تكذيب وإعراض ، فنرى خطاهم متشابهة متماثلة يسير أحدهم على هدي أخيه في الدعوة إلى الله ، وللحظة تغدو أصواتهم المختلفة ولغاتهم المتعددة صوتا واحداً ولغة واحدة تنطق : "إني أخاف عليكم "

وكأنها حالة نفسية فريدة ، تصيب الدعاة كلما أخلصوا في دعوتهم إلى الله ، وكان الناس في الوقت ذاته يصدون عن دعوتهم هذه ، ويعرضون عنها ولا يرون الحق ولا يؤمنون به ، إن هذه الآيات تصور للمطلع عليها موكب الإيمان ، بأعلامه وعوائقه ومعالم طريقه، تصور له أدق التفاصيل التي قد تعترض طريقه ، ليتخذ من سبقه قدوة وإماماً،وتصور له ما يجب أن يتمثله من انفعالات نفسية ، وكأنها تطالبه بأن لايقتصر اقتداؤه على أفعالهم ، بل يتعداه إلى الاقتداء بحالاتهم النفسية الكريمة حينما يواجه البشرية في رحلة دعوته، إنّ المشهد المتشكل هنا رائع بحق ، أعني مشهد الصراع العميق ، الذي يواجهه الدعاة في خضم دعوتهم على طول الطريق،وكيفية تعاملهم مع ما يواجهونه من تكذيب وإعراض بكل خوف ورحمة ، ونلاحظ أنّ دعوتهم جميعاً قد توحّدت ضمن إطار واحد ، وهو الدعوة لتوحيد الله تعالى حق التوحيد ، " إن التركيز في كل رسالة كان على أمر واحد: هو تعبيد الناس كلهم لربهم وحده رب العالمين ، ذلك أنّ هذه العبودية لله الواحد، ونزع السلطان كله من الطواغيت التي تدعيه، هو القاعدة التي لا يقوم شيء صالح بدونها في حياة البشر. ولم يذكر القرآن إلا قليلاً من التفصيلات بعد هذه القاعدة الأساسية المشتركة في الرسالات جميعاً" [١٥]

ب) آيات الخوف في قصة إبراهيم عليه السلام : ورد انفعال الخوف في قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في أكثر من مشهد أذكرها وفق ترتيب الأحداث في القصة كما يلي:

١) مع أبيه: ﴿ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَـٰنِ وَلِيّٗا ﴾

(سورة مريم الآية ٤٥) وتضم هذه الآية من الجماليات النفسية ما يفيض له دمع العين

---

١٥) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، (١٣٠٤/٣) .

تأثراً ، فالأصل في النصح والخوف أن يكون منطلقاً من الأب لابنه ، يوجهه ويخشى عليه من كل سوء ، إلا أن الآية تفاجئنا بهذه الحادثة الغريبة إنه الابن البار قد سكن الخوف على أبيه قلبه ، وابتدأ حديثه معه باستخدامه للنداء ، الذي يعبر عن احترامه له ، ومن ثمّ استخدامه لصيغة "أبتِ" في ندائه عليه ، وتطوي هذه اللفظة كل معاني التودد والتذكير برابطة الأبوة واستعطافه برفق ، لينال إنصاته والأمل بموافقته له ثم يصارحه بحقيقة شعوره ، وهو أنه خائف عليه يرجو نجاته ويحرص على حمايته ولو من مسّ يسير من أذى ، فاستخدامه للفظة (يمسّك عذاب) يحمل معنى عميقاً من معاني الود ؛ فإبراهيم عليه السلام أراه يخاف على أبيه لا من الانغماس أو الخلود في العذاب ، بل إنّ فكرة أن يمس أبيه العذاب مساً خفيفاً تفزعه وتخيفه ، وهذا الأسلوب في الحوار أجده غاية في الأدب ، ويظهر فيه بوضوح حرص الداعية على المدعو ، وتحرّيه لأرق الألفاظ لإقناعه وهدايته.

على خلاف ما نراه الآن من بعض أساليب الحوار ، التي يبرز فيها الدعاء على الآخر بالهلاك أو تمني حصول العقاب له وحلول الغضب الرباني عليه ، إن وجد أنه قد تشبّث بعقيدته الباطلة . ولا يكتفي النبي الحليم إبراهيم عليه السلام بتوضيح هذا الخوف لأبيه ، بل يتعرض لاسم كريم من أسماء الله الحسنى وهو الرحمن ، ليشير بخفية ولطف لأبيه أنّ هذا العذاب والغضب إن صدر من رحمن فلا بد أن المرء قد تجرأ عليه جرأة كبيرة وتجاوز في عتوه وتجبره.

ولكنه عليه السلام استخدم أرقى الألفاظ ليعبر عن هذا المفهوم ، بمنطوق فيه من صفة ناطقه الكثير الكثير ، فهو بحق قول حليم وحوار حليم ، ولاتزال هذه الآية تذهلني بمعانيها ، حينما وقفت على سر آخر من أسرار التعبير بانفعال الخوف لا سواه وهو بحد ذاته رسالة يوجها نبي الله تعالى إبراهيم ليس لأبيه وحسب بل لكل الدعاة وحملة الرسالة على مرّ الأزمان ، حينما ترك لوالده فسحة من أمل بأنه يستطيع تكوين حياة جديدة ، تفيض بحب الله وحسن عبادته ولمّا يقع عذاب الله عليه بعد، فلم يحكم إبراهيم عليه السلام ـ وقد تأكدّ له كفر أبيه ـ لم يحكم عليه بالضلالة أو الخسران يوم القيامة "إنّ تعبيره بالخوف الدال على الظن دون القطع تأدب مع الله

تعالى بأن لا يثبت أمرا فيما هو من تصرف الله ، وإبقاء للرجاء في نفس أبيه لينظر في التخلص من ذلك العذاب بالإقلاع عن عبادة الأوثان" (١٦)

ومن ثمّ تُختم الآية ببيان من إبراهيم عليه السلام لأبيه عن مدى حرصه على نجاته في الآخرة ، فهو يخاف أن ينتهي الأمر مع والده بأن يكون للشيطان ولياً " فلا يكون لك مولى ولا ناصرا ولا مغيثا إلا إبليس، وليس إليه ولا إلى غيره من الأمر شيء، ويغدو اتباعك له موجب لإحاطة العذاب بك" (١٧)

وبعد هذه السلسلة من التصاوير الفنية البديعة ، لا يسعنا إلا أن نقف مذهولين لمثل هذا التصوير البديع البليغ ، فسبحان من ألهمه حسن الأخلاق وحسن البيان وحسن الحوار.

٢) مع قومه: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (سورة الأنعام الآيتين ٨٠-٨١).

تصور هذه الآية مشهد حوار ابراهيم عليه السلام مع قومه ، حينما جاؤوا يخوّفونه بسبب تمسكه بالدعوة إلى الله تعالى من أنّ الأصنام ستؤذيه بقواها التي يزعمون أنها تمتلكها فيأتيهم الرد القوي منه ، ويُبرزُ إبراهيم عليه السلام هنا جانباً آخر من شخصيته غير الذي برز قبل قليل في حواره مع أبيه ، فهو هنا ذو شخصية قوية كالجبل رسوخاً ، تُنكر عليهم وتطيل الإنكار ، ويُصَوّرُ هذا الإنكار لنا بدقة عالية من خلال إيقاع صوتي جميل ، هو عبارة عن مد يستمر لست حركات ، يستشعر ناطقه فيه كل معاني الإنكار التي حملها إبراهيم عليه السلام بين جنبيه ووجهها لقومه ، وكأن هذا المد حينما يستنفد أنفاس تاليه يحاكي لنا استنفاد إبراهيم عليه السلام كل ما أوتي من قوة لينكر على أولئك القوم ضلالتهم .

ويعرض لقومه مقارنة عقلية من الطراز الرفيع ، يقارن فيها بين آلهتهم الخاوية من كل معاني الألوهية وبين الله تعالى المتصف بدرجات الكمال والصفات العلا، ويختم

---

١٦) التحرير والتنوير ، محمد بن عاشور، (٧/ ١١٨) .

١٧) ابن كثير ، أبي الفداء إسماعيل ، تفسير القرآن العظيم ، دار الغد الجديد ، مصر ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٧ ، (١١٣/٣) .

هذه المحاورة القوية بسمتها، برد تهمتهم عليهم فقد جاؤوه يريدون تخويفه وقد فرّقهم وقد سكن الخوف نفوسهم، وما ذلك إلا لقوة حجته، وحسن طرحه لرده. وينتهي المشهد بسؤال غرسه إبراهيم عليه السلام في نفوسهم : "فأي الفريقين أحق بالأمن" إنّ عملية ختمه للحوار بمثل هذا السؤال ، توحي بإفادة نفسية عميقة يستطيع المرء تمثلها في حواره مع الآخر ، وهي تركه يفكر بسؤال منطقي عميق لبعض من الوقت ، فليس الشرح المطول أو الإسهاب في العرض بالطريقة المثلى ، فقد يحتاج المناقش لإقناع الطرف الآخر أحياناً باللجوء إلى طرح الأسئلة وتركه هو ليتوصل إلى الإجابة المنشودة، ويختلف هذا بحسب طبيعة المدعو .

٣) مع الملائكة التي أتت تبشره بالذرية الطيبة : وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴾ (سورة هود الآيتين ٦٩-٧٠).

وفي موضع آخر : ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴾ (سورة الذاريات الآية ٢٨).

تتحدث الآية عن مشهد تبشير الملائكة لنبي الله إبراهيم عليه السلام بالذرية الطيبة وبإهلاك الله تعالى لقوم لوط ، وتحمل الآية تصويراً غنيا لجوانب الخير المتعددة في شخصية نبي الله إبراهيم عليه السلام ، فقد بادر ضيوفه بالإحسان المعنوي حينما رد عليهم السلام بأحسن منه " فسلام الملائكة جاء منصوباً فلا بد له من فعل ناصب ، وهنا تكون الجملة فعلية كما يقول علماء اللغة أي : نسلّم سلاماً ، ولكن سلام إبراهيم عليه السلام جاء مرفوعاً ؛ لأنه مبتدأ أي :سلام عليكم ، أو خبر لمبتدأ محذوف ؛ أي أنّ جملته اسمية ، والفرق بين الجملتين أن الفعلية تدل على الحدوث والاسمية تدل على الثبوت والدوام ، فسلام الملائكة لإبراهيم عليه السلام حادث متجدد ولكنّ رد إبراهيم عليه السلام كان يتسم بالثبوت والاستمرار فكانت تحيته أبلغ من تحيتهم ."[١٨]

---

١٨) القصص القرآني ، فضل حسن عباس، صفحة ٢٨٣ .

ومن ثم بادرهم بالإحسان المادي ،حينما قدّم لهم الطعام بسرعة وهو العجل المشوي، ولكن هؤلاء الضيوف قابلوا هذا النوع من الإحسان بتصرف يثير الريبة في النفس، عندما رفضوا تناول هذا الطعام ، والمعروف أنّ مثل هذا النوع من الرفض يوحي للمضيف بأن ضيفه يريد أمراً ما أو يضمر شراً، لذا أوجس نبي الله إبراهيم في نفسه الخوف .

ومعنى الوجس هو : "الفزع مما وقع في قلب الإنسان أو سَمْعِه من صوت أو غيره. ووجس فلان وَجْساً: أضمر الخوف.

ووجس الشيء: خَفِيَ، ووجس القلب شيئاً: أحَسّ به أو خافه" [١٩]، فالآية تبرز لنا من خلال قوة العرض فيها ملامح هذا الخوف الذي أضمره نبي الله إبراهيم في نفسه ، إلا أنّ مظاهره تفلتت على قسمات وجهه رغماً عنه ، وأدركت الملائكة هذا الخوف رغم محاولته لإخفائه ، وذلك ما علمناه من خلال التعبير القرآني "أوجس" ، فقامت بطمأنة نبي الله فوراً ، وهدّأت من روعه بإخباره بسبب قدومها .

وتعرّض نبي الله لوط عليه السلام للخوف حينما أتته هذه الملائكة تخبره بوقوع العذاب على قومه ، فجاءه قومه يستبشرون كما ذكرت سابقاً ، وخاف لوط عليه السلام من تعرض ضيوفه للأذى ، وذلك قبل معرفته لحقيقتهم وأنهم ملائكة من لدن الله تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ (سورة العنكبوت الآية ٣٣) . ونرى الملائكة تهدّأ من روع لوط عليه السلام وتخفف عنه خوفه .

ج) الخوف في قصة نبي الله زكريا عليه السلام : وذلك في قوله : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ (سورة مريم الآية ٥).

ولقد اطلعت على العديد من التفاسير لأستوضح معنى هذه الآية ، ووجدت مرادي في تفسير الإمام الشنقيطي رحمه الله ، وذلك لأنه قد شرح فأوفى رحمه الله ، وفسّر الآية بالاعتماد على سياقها وجو السورة بشكل عام ، وربطها بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخرج تفسيرها بأكمل طريقة، الأمر الذي افتقدته في غالب التفاسير الأخرى ، حيث

---

١٩) المعجم الوسيط ، صفحة ١٠١٤.

توسّع بعض المفسرين في ذكر حال عصبة نبي الله زكريا عليه السلام ، وأفردوا لذلك أبواباً ومباحث ومنهم من أطال الحديث عن تركة الكلالة وماهيتها.

أما ما أورده الشيخ الشنقيطي فهو : " معنى قوله: تعالى خفت الموالي ، أي : خفت أقاربي وبني عمي وعصبتي : أن يضيعوا الدين بعدي ، ولا يقوموا لله بدينه حق القيام ، فارزقني ولدا يقوم بعدي بالدين حق القيام ، وبهذا التفسير تعلم أن معنى قوله " يرثني "أنه إرث علم ونبوة ، ودعوة إلى الله والقيام بدينه ، لا إرث مال ، ويدل لذلك أمران أحدهما : قوله: ويرث من آل يعقوب ومعلوم أن آل يعقوب انقرضوا من زمان ، فلا يورث عنهم إلا العلم والنبوة والدين .

والأمر الثاني : ما جاء من الأدلة على أن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يورث عنهم المال ، وإنما يورث عنهم العلم والدين ، فمن ذلك ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا نورّث ، ما تركنا صدقة . "[٢٠]

د) الخوف في قصة نبي الله يوسف عليه السلام : وذلك في قول أبيه يعقوب عليه السلام: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴾ (سورة يوسف الآية ١٣). فالخوف والحزن المقصودين هنا هو خوف الأب الفطري على ابنه من أي مكروه قد يصيبه والحزن لبعده ، والأصل أن تكون درجة الانفعال هنا هي القلق، ولكن بالإضافة لصغر سنّ يوسف عليه السلام ، فإنّ معرفة يعقوب عليه السلام بما يضمره أبناؤه ليوسف عليه السلام ، وفراسته في تحديد مشاعرهم نحوه ، ومدى الحقد والغيرة التي حملتها نفوسهم جعلته يصل لمرحلة انفعال الخوف.

ومن الحكمة في مثل هذا المقام أن يتعذّر لهم ، ولا يواجههم بما يدور في نفسه من حقيقة هذه المخاوف ، فتعذّر عليه السلام بالخوف من الذئب ، وفي هذه اللفتة منه تعليم في غاية الرقي لكيفية التعامل مع أصحاب النفوس الحاقدة ، فالأمثل في مثل هذه المواطن هو تحاشي مواجهة قبح نفوسهم ، والعمل على تحاشيهم وتفاديهم ، ولم يعتر الخوف نفس يعقوب عليه السلام فقط ؛ بل تصوّره لنا الآيات وقد اعترى نفوس هؤلاء الإخوة أيضاً ،

٢٠) الشنقيطي ، محمد الامين بن محمد ، تفسير أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ، دار الفكر ،بيروت ، ١٩٩٥م ، صفحة ٣٦٢

وقد ظهر هذا الخوف على حديثهم ، من خلال التردد وإيراد الوعود الجازمة لإثبات صدقهم المُدَّعى ، وخوفهم كان من أن تنكشف خطتهم للتخلص منه.

إنّ الوعود التي قطعها إخوة يوسف عليه السلام على أنفسهم أمام يعقوب عليه السلام، وكثرة المؤكدات المتتابعة البارزة في حديثهم معه وذلك في قولهم: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۞ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (سورة يوسف الآيات ١١-١٢).

إنّ هذه المؤكدات بالتأكيد لم تأتِ عبثاً ، أو لتتم على السياق تناسقه الصوتي، وإنّما كان الهدف منها هو إبراز إشارة نفسية مضللة ليعقوب عليه السلام، من خلال إظهار زيادة المحبة ليوسف عليه السلام وادعاء الإشفاق عليه، وما ذلك إلا لينالوا موافقة أبيهم وسماحه ليوسف عليه السلام بالذهاب معهم، إنّ الكاذب عادة يلازمه الشعور بأنّ من أمامه يعلم حقيقة كذبه فيكثر من التأكيدات أو الحلف والقسم أو التبرير ، فنراهم هنا يؤكّدون لأبيهم الكلام مرة تلو الأخرى آملين أن يزيلوا عنه كلَّ خوف وشك .

ويجدر بالذكر " أنّ ضبط الزمن وتحديده (غداً) فيه إشارة نفسية إلى أنّهم يستعجلون التخلص من يوسف عليه السلام خوفاً من فشل المؤامرة، أو كشف أبوهم لها، أو تراجع واحد من العصبة عن الاتفاق المبرم"[٢١]

هـ) الخوف في قصة نبي الله موسى عليه السلام : ضمّت قصة نبي الله موسى عليه السلام الجزء الأكبر من حديث القصص القرآني عن الخوف ؛ فمنذ اللحظة الأولى التي ولد فيها موسى عليه السلام ظهر انفعال الخوف على أم النبي موسى عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (سورة القصص الآية ٧).

أوحى لها الله تعالى لها أن تلقي وليدها في اليمّ ؛ لتحميه من قتل جنود فرعون،وفي هذه الآية الكريمة توضيح لأسباب حدوث انفعال الخوف لديها فالسبب الأول هو : توقعها لأي مكروه قد يهدد حياة طفلها ، والسبب الثاني هو :جهلها بما سيؤول إليه المهد ، وثالث هذه

---

٢١) جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني ، صالح ملا عزيز ، صفحة ٢٣٣

الأسباب هو : شعورها بالعجز عن حمايته ، وهنا تتجلى الرحمة الإلهية بأن يربط الله تعالى على قلبها ، فقد بلغ انفعال الخوف منها مبلغاً شديداً وذلك فيما يوضحه قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة القصص الآية ١٠).

" إنّ للباء ظلالاً نفسية لا يكاد الحسُّ يخطئها، فهي تدلنا ـ بما فيها من معنى اللصوق والمصاحبة ـ على شدة الارتباط الروحي، وتعلق القلب به، وكأنّ موسى عليه السلام لا يزال في أحشاء أمه، وهي قلقةٌ على مصيره، تتقصّى أخباره بقلق بالغ، إن نزل به مكروه نزل قبله بقلبها، ففي الباء همسةٌ ببقاء الأم على دوام الاتصال، وفيها إيذانٌ بالمصير الواحد والخطر المشترك، يُضاف إلى ذلك أنّ وجود الباء يُحدِث بطأً في زمن النطق ليواكب الحركة النفسية، وما يعتمل في قلب أم موسى من تردد بين الإقدام والإحجام، مما يكشف عن أعماق أمّ تتصارع بداخلها عوامل الخوف، وتتجاذبها هواجس متباينة، بين مصير ابنها المجهول في البحر، ومصيره المحتوم على يد فرعون." [٢٢]

وردّ الله تعالى لهذه الأم الكريمة وليدها بقدرته ،وتبدد انفعال الخوف تماماً عن هذا المشهد من القصة ، ليعاود الظهور مرة أخرى حينما شبّ نبي الله موسى عليه السلام ، ودون قصد القتل وكز رجلاً قبطيّاً فتملكه الخوف؛ لما يعلمه من أن قوم هذا القبطي سيطالبون بقتله والانتقام منه؛ ثأراً لولدهم المقتول وتصف الآيات الكريمة مدى هذا الخوف: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ۚ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ (سورة القصص الآية ١٨).

إنّ جمالية التصوير الفنيّ في هذه الآية والمتمثلة برسم الشخصية ،توفّر لنا مشاهدة حيّة وتصوّراً عميقاً لهذا الخوف المسيطر على حال نبي الله موسى عليه السلام ، فالصبح قد طلع عليه والخوف يملأ نفسه ، حتى ظهر على جسده بصورة قوية ومستمرة لا تفارقه ، إنّ مجيء انفعال الخوف في هذه الآية بصيغة المضارع يفيد معنى الاستمرارية ، فهو في ترقب مستمر لكل ما

---

٢٢) الخضري ، محمد الأمين ، من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩ م ، صفحة ١٧٣-١٧٤ بتصرف يسير .

يحيط به من حركات وأخبار ، وهكذا هو الخائف يتلفت يميناً ويساراً يتوقع الشر والأذى في أي لحظة، "بهذا يبدو أنّ لفظة (يترقب) تتكفل بإضاءة كلّ هذه المعاني النفسية، حيث إنّ الألفاظ في حقيقتها هي صوت النفس يتشكلّ في مظهر حسي." [٢٣]

وفجأة وخلال هذا الترقب المستمر يأتي رجل بما فيه زيادة لهذا الخوف: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (سورة القصص الآيات ٢٠-٢١).

ففي الآية صور عديدة من البلاغة في تصوير الانفعال النفسي ، من خلال حركة الشخصيات الواردة في القصة وهذا ما تفيده لفظة (يسعى) ، فهي تصف حركة السير السريع لهذا الرجل الناصح لموسى عليه السلام، كما تصف أيضاً ما يحمله من حسن سريرة وحب لحماية الآخرين ، حيث لم يمنعه بعد المسافة وأعباء الطريق من القيام بتحذير موسى عليه السلام ، إنّ قدومه يأتي إلى سيدنا موسى عليه السلام سعياً لا مشياً دلالة تتناسب مع ما في نفس هذا الرجل من الحرص على إنقاذ موسى عليه السلام من مؤامرة الملأ الذين ينوون قتله ، ولا تزال حالة الترقب ملازمة لنبي الله موسى عليه السلام في كل حينه منذ أن أصبح وخلال نهاره وحين خروجه ، ولا زالت اللفظة تأتينا بصورة الفعل المضارع المستمر المتجدد لا تتبدل كما هو الخوف الذي في نفس موسى عليه السلام لم يتغير ، بل ازداد أثناء عملية هربه من هؤلاء القوم وهو الامر الذي أبرزته لنا الآية الكريمة: ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (سورة القصص الآية ٢٥) فلا زال موسى عليه السلام يحمل بقايا الخوف التي لازمته منذ أن خرج في ذلك الصباح خائفاً يترقب ولغاية وصوله إلى ماء مدين وروايته للقصة لذلك الرجل الصالح، مما جعله يطمئنه ويهدئ من روعه حينما قال له : (لا تخف) .

إنّ نفس نبي الله موسى عليه السلام تأثرت تأثراً عميقاً بهذا الخوف وسكنها طويلاً ، بل إنّ هذا الخوف في لحظة من لحظات حياة موسى عليه السلام شكّل مانعاً له من التقدّم ومانعاً من أن

---

٢٣) جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني ، صالح ملا عزيز صفحة ١٦١ .

يبتدئ طريق الدعوة إلى الله تعالى ، وذلك يبرز من خلال محاورته لله تعالى لمّا طلب منه أن يذهب إلى فرعون وينذره من عذاب الله تعالى ، فما كان رده عليه السلام وما تبادر لذهنه سوى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ (سورة القصص الآيتين ٣٣-٣٤)، وفي موضع آخر: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ (سورة الشعراء الآيات ١٢-١٤)

فالآيات توضح أن نفس نبي الله موسى قد سكنها الخوف ، حتى إنّه ركّز في بداية حديثه مع ربه على هذا المانع الذي يحول بينه وبين انطلاقه كداعية ينفّذ أمر الله تعالى، وفي هذا حكمة من نبي الله موسى ، حيث ينبغي لكل إنسان أن يتأكد من تبديد مخاوفه والتحلّي بالشجاعة الكافية والإقدام الذي لا ينقطع قبل قيامه بأي أمر ، وقد أدرك نبي الله موسى أن انفعال الخوف الذي يسكنه هو من أكبر التحديات ، والتي إن بقيت فستؤخره عن نشر دعوته ، ومن ثم حدّد ثاني ما يمكن أن يؤثر في طريق الدعوة ، وهو طغيان فرعون ، فالخوف الداخلي أعمق وأشد من الخوف من الأمور الخارجية.

كل هذه اللطائف مما أودعه الله تعالى في قلبي لمّا تأملت التصوير الفنيّ الفريد والعميق الوارد في الآيات وأسأل الله تعالى السداد فيه .

وبعدما بثّ الله تعالى أمانه ويقينه في نفس موسى عليه السلام ، واستجاب لدعائه وطلبه بأن يؤمنه من خوفه الناشئ من قتله للقبطي ، نراه قد التفت لأمر الله تعالى بكل كيانه وتخلّص من خوفه تماماً ، فتوحّدت جهوده ومشاعره نحو قضيته الأولى الآن وهي مواجهة فرعون ، وتبيّن الآيات أن فرعون لم يكن بالشخصية السهلة أبداً ، لدعوتها لطريق التوحيد وعبادة الله تعالى ، وكيف يُدعى من يدّعي بأنه إله متحكم وخاب وخسر في ادعائه ذاك ، كيف يُدعى ويطلب منه الإيمان والإقرار بوجود إله عظيم حكيم أقوى منه وأقدر ؟ إنّ تخيّل هذا الموقف أحدث في هذه المرة انفعال الخوف إنما في نفسين مختلفتين لا في نفس واحدة، فقد نشأ الخوف الآن في نفس

هارون عليه السلام أيضاً وذلك حينما قالا : ﴿ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (سورة طه الآيتين ٤٥-٤٦).

ويطمئن الله تعالى الرؤوف الرحيم عبديه موسى وهارون عليهما السلام بأنه معهما يراقبهما ويرافقهما لا يستطيع فرعون إليهم سبيلاً وهو القدير الرحيم معهم .

ومما يجدر ذكره أن أعداء المرء قد يحاولون عرقلة مسيره نحو هدفه من خلال تذكيره بمخاوفه ومحاولة أسره في إطارها ، إلا أنّ المؤمن القوي يوقن بأنّ الله تعالى معه يسدد خطاه ويوجهه وهذا مما دلني عليه قول موسى عليه السلام لفرعون: ﴿ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمًا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ (سورة الشعراء الآية ٢١)، ففرعون قام بتذكير موسى عليه السلام بقضية قتل القبطي ، متهكماً منه ومخوّفاً له وكأنّه يلوح له بأنه قد يستثير نزعة الانتقام في صدور قوم ذاك القبطي ، إلا أنّ رد موسى عليه السلام برزت فيه ملامح التوكل على الله الاعتماد الكامل عليه ، وكم استشعرت مدى واسعاً من الثقة والأمان بالله حينما تأملت لفظة "معي ربّي" التي خرجت من أعماق نفس موسى عليه السلام لتجتث هذه المخاوف من جذورها .

ثم تمضي أحداث القصة لتبين لنا حُسن الامتثال من موسى وهارون عليهما السلام فيمضيان في طريق الدعوة، لا يوقفهما أمر ، ويواجهان فرعون ويطالبانه بضرورة الإقرار بتوحيد الله تعالى والخضوع له، وبدأت المواجهات بين موسى عليه السلام وفرعون وكانت في بدايتها قائمة على المناقشة القوليّة والمناظرات ثمّ تقرر أن يلتقي موسى عليه السلام مع سحرة فرعون في مواجهة هي الأقوى من نوعها بين الحق والباطل ، وقد حشد فرعون لهذه الواقعة حشوداً ، ومنح للسحرة وعوداً بالتمكين المعنوي والمادي ليقدّموا أفضل ما لديهم في هذه المنازلة ولنتأمل قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴾ (سورة طه الآية ٦٠) ، نجد أنّ الآية ذكرت أن فرعون تولّى وفي اللفظة تصوير بليغ لكيفية حركة هذا الطاغية ،وتخييل لحركته ، ثمّ نجدها عبّرت عن جمعه للسحرة بحرف الفاء دلالة على سرعته في جمع السحرة، أو سرعة السحرة في الاستجابة له خوفاً منه او طمعاً بجوائزه ومنحه، ثمّ عبّرت الآية عن إتيانه بالحرف (ثمّ) ، والمعروف أنه يفيد التراخي وأرى في هذا إشارة نفسية في غاية الحسن ، ففرعون وإن كان خارجيّاً يظهر رباطة الجأش والعزم ، إلا أنّ شعوره الداخلي يوحي إليه بأنه سيهزم وتكشف

حقيقته، فيُخبرنا الحرف أنّه لم يسارع إليه، بل أتاه بعد تردد .
وفي هذا إشارة إلى أنّ الهزيمة النفسية هي التي تقع أولاً في ساحة أي معركة ومن ثم تليها الهزيمة الجسدية والمادية ، فسبحان من أنزل الكتاب ولم يجعل به عوجاً ،وحقاً وصدقاً سبحان من قال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (سورة النساء الآية ٨٢).

وتنتقل القصة لمشهد منازلة السحرة ، وهاهنا لون جميل من ألوان التصوير الفني ، وكلها كذلك وهو قوة العرض والإحياء ، فالآيات تحمل قارئها لمشهد المنازلة كأنه فيه ، وتسكنه وسط حشود الناس ذاك اليوم ، يتابع الاحداث مشهداً مشهداً ، بل إنها أفضل من الوجود الحقيقي؛ حيث إنها قد رسمت الملامح الخارجية للشخصيات رسماً دقيقاً ، وصوّرت أيضاً المعاني النفسية العميقة لتلك الشخصيات وهذا أمر لم يدركه كثير ممن حضر ذلك اليوم حقيقة ، والمشهد الآن هو: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾ (سورة الأعراف الآيات ١١٥ـ١٢٠).

وهاهنا أسلوب مواجهة نفسيّ استخدمه السحرة قبل بدء أسلوب المواجهة المادي ، تصوّرها الآية من خلال إيراد لفظة "نحن" ، وترسم لنا تلك الشخصية المتبجّحة والمغترة بسحرها المفترى ،فقد تفاخروا بكثرتهم وأرادوا بذلك إرهاب موسى عليه السلام، ونددوا بوحدته وغربته ، وما علموا أنّهم غثاء كغثاء السيل لا نفع فيه ، وأنّ الغربة وقلة العدد، حال اعتادها أهل الحق دوماً ، وتمموا هذه المواجهة النفسية بقلق نفسيّ سببوه لنبي الله موسى حينما وضعوه في حالة الاختيار ، وتقرير البادئ وكأنهم يوحون إليه بأنهم منتصرون في كلا الحالتين ولا يعبؤون بكون البداية لهم أو له ، وكانت إجابة نبي الله موسى عليه السلام خير ردّ لهم ، حيث فاجأهم بانهم هو لا يعبأ بهذا أيضاً وطلب منهم البدء .

وليس غريباً على نبي الله موسى عليه السلام مثل هذا الردّ ،وهو الذي أمّنه ربه بأمانه وحقّه برعايته ، وبالإضافة إلى هذا التعزيز المعنويّ الذي وهب موسى عليه السلام قوة نفسية

كبيرة وثقة غير محدودة، فإنّ موسى عليه السلام يمتلك أيضاً قوة مادية تزيد من تلك الثقة وهي تدرّبه على إلقاء العصا من قبل ومعرفته بإعجازها ، فالله تعالى قد وهبه هذه المعجزة ودرّبه على إلقائها ومما ورد في هذا السياق قوله تعالى:

﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴾ (سورة القصص الآية ٣١) وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾ (سورة طه الآيات ١٩-٢١).

وقوله تعالى: ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾ (سورة النمل الآية ١٠).

وتصف هذه الآيات مدى الخوف الذي اعترى موسى عليه السلام أوّل مرّة ، حيث تملّكه الخوف وجعله يركض بقوة دون أن يلتفت لأي اتجاه ، ودون أن يفكر بأي أمر سوى كيفية الهروب من هذا الموقف، وهذا المستوى مستوى متقدم من انفعال الخوف.

وفي هذه الآيات جميعاً وصف لأسلوب قرآني فريد جاء لعلاج الخوف عند موسى عليه السلام ، وذلك حينما ألحقه سبحانه وتعالى بموكب الأنبياء من قبله ونفى عنهم الخوف، وكأنّ في ذلك حثّاً له على ضرورة الاقتداء بمن سبقه ، وتأسيس قاعدة إيمانية عميقة لديه وهي أنّ من كان الله تعالى معه وجب عليه ألا يخاف من سواه، وكأنّ تعزيز شعور الاقتداء بالناجحين أو الأقوياء لدى الخائف ينتشله من خوفه ويساعده على تجاوزه بشكل أكبر .

وبالعودة إلى ساحة النزال بين موسى عليه السلام وسحرة فرعون نجد أن نبي الله موسى قد نجا من محاولة السحرة لتخويفه من خلال إيحاءاتهم النفسية المضللة ولكنه عليه السلام قد وقع في يسير من الخوف الخفي والذي عبّرت عنه الآيات بلفظة "الوجس" التي بيّنت معناها سابقاً ، ولكن رعاية الله تعالى تتنزّل عليه سريعاً، لتخرج هذا الخوف الصغير الخفيّ من نفسه بسرعة وبتلطف: ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ (سورة طه الآيات ٦٧-٦٩).

وينتهي هذا المشهد من قصة موسى عليه السلام مع فرعون بإعلان السحرة إيمانهم وسجودهم لرب العالمين معلنين توحيده سبحانه وتعالى والخضوع إليه.

وبعد هذا الإعلان ما كان من فرعون إلا أن جمع المصريين وصارحهم بأنه خائف عليهم : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ (سورة غافر الآية ٢٦) إنّ هذا الطاغية وقد استحيا النساء وقتّل الصبيان خائف من أن يظهر موسى عليه السلام في الأرض الفساد ، وأي تضليل وتزييف للحقائق أكثر من هذا؟ وأي استخفاف كان يمارسه فرعون مع قومه ليصرّح أمامهم بمثل هذا القوم ؟ "ويبدو من قوله ذروني أقتل موسى أن رأيه هذا كان يجد ممانعة ومعارضة من ناحية الرأي كأن يقال مثلاً: إن قتل موسى لا ينهي الإشكال. فقد يوحي هذا للجماهير بتقديسه واعتباره شهيداً، والحماسة الشعورية له وللدين الذي جاء به، وبخاصة بعد إيمان السحرة في مشهد شعبي جامع، وإعلانهم سبب إيمانهم، وهم الذين جيء بهم ليبطلوا عمله ويناوئوه ،وقد يكون بعض مستشاري الملك أحس في نفسه رهبة أن ينتقم إله موسى له، ويبطش بهم. ويكون قول فرعون: (وليدع ربه) رداً على هذا التلويح، وإن كان لا يبعد أن هذه الكلمة الفاجرة من فرعون، كانت تبجحاً واستهتاراً، لقي جزاءه في نهاية المطاف"[٢٤] ولقد بيّن لي الدكتور صلاح الخالدي حفظه الله جمالية أخرى قد تحملها صيغة الاستئذان "ذروني" في هذه الآية وهو أن فرعون حريص على إشراك قومه في تحمل الوزر وقتل موسى عليه السلام ويطالبهم بما يعرف بالتأييد الجماعي لفعله المنكر هذا ، فيظهر نفسه لهم بمظهر الديمقراطي المحب للشورى والعدل ! ، وسبحان من جعل في كلا التفسيرين والإشارتين ذماً لهذا الطاغية البائس .

ويقرر هذا الطاغية قتل موسى عليه السلام ومن معه ، فيوحي الله تعالى لموسى عليه السلام بضرورة الخروج من هذه الأرض، ويبين له سبيل النجاة : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ (سورة طه الآية ٧٧).

ولا بد من الوقوف عند هذه الآية لبيان بعض ما فيها من إشارات نفسية أعتقد بأنها ساهمت بإنقاذ حياة موسى عليه السلام ونجاته من الهلاك مساهمة عظيمة ، فمما لاحظته في هذه

---

٢٤) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، (٥/ ٣٠٧٨)

الآية أن الله تعالى يخبر موسى بعدم الخوف قبل وقوع الأمر، بخلاف الآيات السابقة التي كان فيها أمر الله تعالى لموسى عليه السلام بعدم الخوف بعد حصول ما يخيفه وذلك - والله تعالى أعلم وأحكم- لأنّ مثل هذا الموقف الذي ندركه نحن لاطلاعنا على تفاصيل القصة ، أما في ذاك الزمان فقد كان مغيّباً عن نبي الله موسى تفاصيله وحقيقة ما سيواجهه ، فالأمر الرباني هنا سينقذه لاحقاً ، ويمنع عنه أي تردد في خوض البحر ، وهذا التردد الذي قد ينشأ من الخوف من خوض البحر ، لهيبة منظره ولاستبعاد حصوله عادة ، إن أخذ هذا التردد من وقت موسى عليه السلام ثواني معدودات وقت الهرب ، فإن فرعون وجنوده سيدركونه ومن معه بدون أدنى شك ، كما انّه في هذا الموقف على خلاف المواقف السابقة مطالب بالثبات وتثبيت من حوله فلا يصح له الخوف ولا يجوز له لذا كان الامر بعدم الخوف سابقاً للحادثة.

ولعل مما يقوي هذا الاستنتاج التصوير البديع للشخصيات الخائفة والمضطربة ، والتي هي في أصلها آمنت بموسى عليه السلام على تخوّف كما وصفهم الله تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ (سورة يونس الآية٨٣).

حيث تنفجر هذه الشخصيات بوجه موسى عليه السلام فزعة خائفة تولول بحتمية هلاكها ويكاد أحدهم يسلم نفسه تسليماً لفرعون وجنوده ليأسه من إمكانية النجاة وذلك من خلال ما استخدموه من مؤكدات تعكس حالتهم النفسية: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ (سورة الشعراء الآيات ٦١ – ٦٢). ففي قولهم ثلاثة من المؤكدات وهي : حرف التوكيد واللام وكون الجملة في أصلها اسمية ، وهذه الدرجة العالية من الخوف لم يفصّلها القرآن وإنما عُبّر عنها بشكل موجز وهذا مما ينسجم مع حال الخائف لحظة خوفه ، بحيث لا يطيل الحديث ولا يسترسل في التعبير، إنما ينطق بما تمليه عليه نفسه بقوة وبسرعة .

ووواجه نبي الله موسى عليه السلام هذا القلق والخوف بقوة أكبر ويقين أعمق، ودون أن يتسرب الشك لحظةً إلى قلبه، فقد تلقى الأمر من ربه وتهيّأ له ، ونلمح هذا من خلال ما يبثّه لنا

أسلوب ردعه القوي في قوله (كلا) من جهة، ومن خلال التوكيدات التي طرحها لمن حوله من جهة أخرى .

والمؤكدات هنا هي حرف التوكيد وحرف السين وكون الجملة اسمية، ثلاث مؤكدات تبثّ اليقين تقابل ثلاث مؤكدات تبث الشك ، وتزيد عليه من نور الله العظيم حينما قال عليه السلام "ربّي" وفي اللفظة من معاني التوكل ما لا يخفى .

وبهذا التصوير تنسدل الستائر على تصوير انفعال الخوف في قصة نبي الله موسى عليه السلام ، ويتبدد هذا الانفعال من القصة تماماً ، ولا يذكر من بعد هذه الحادثة أبداً ، وكأنّ نبي الله موسى قد غُرست فيه قوة اليقين في تلك الحادثة ، ونزع منه كل خوف فلا خوف صاحبه بعدها ولا فزع .

وفي ختام هذا المبحث ، يتقرّر أنّ العلاقة بين نظرية التصوير الفني وبين الانفعالات النفسيّة في القرآن الكريم هي علاقة متينة؛ حيث إنّ الانفعالات النفسية تأتي مصوّرة بهيئات متعددة تتناغم مع الشخصية التي تصفها وتعبر عنها، فالتصوير القرآني يفصّل طبيعة الشخصية ويكشف أغوارها وإن كانت الآية موجزة .

ومن الملاحظ بعد استعراض آيات الخوف في آيات القصص القرآني أنّ طبيعة النظرة القرآنية لانفعال الخوف تسمه وتبرزه كانفعال سلبي في بعض المواضع ، وكانفعال إيجابي في مواضع أخرى، فهو لا يعتبر في كل حالاته انفعالاً سلبياً ، بل قد نرى القرآن الكريم يذكره بما هو غاية في المدح ويطالب المؤمنين بتمثّله كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾ (سورة النازعات الآيتين ٤٠-٤١) فالآية توضّح أن الخوف والتزامه في مثل هذا المقام هو بمثابة الحصن المنيع الصلب أمام اندفاع هوى النفس، لذلك أمر الله تعالى الإنسان أن يستعين على هواه بالتشبّث بالخوف من مقام ربه العظيم ذو الجلال والإكرام ، ووعده بالجنة إن غلب خوفه من ربه هواه، والأمثلة التي تحاكي هذا المثال عديدة ومتنوعة والقصد هو التبيان لا الإحاطة .

ومما يستنتج أيضاً أن الإنسان قد يتأثر بعدة عوامل تضبط له انفعاله النفسي وتوجهه، ومن هذه العوامل بل أقواها هي العقيدة التي ينتمي إليها الإنسان ، وعلى قدر التمسك بالعقيدة يكون الانفعال النفسيّ منصبغاً بها؛ فالقرآن الكريم قد صوّر لنا انفعالين نفسيين متقابلين والمؤثّر

واحد : ففي قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة الآية ١٩). تصوّر الآيات مدى الخوف من الموت لدى الكفّار، ويقابلهم في هذا المؤمنون الذين جاؤوا النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنونه بالجهاد معه في غزوة العُسرة ، فاعتذر منهم لانعدام ما يُحملون عليه من الخيل أو نحوه ﴿ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ ﴾ (التوبة ٩٢)، فالانفعال النفسي هنا هو الحزن بسبب عدم القدرة على المشاركة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد لتحقيق النصر، أو الاستشهاد في سبيل الله أثناء المعركة، فنتيجة لتمسك هؤلاء بالعقيدة تحوّل الانفعال من الخوف من الموت إلى الحزن لفوات ثواب الاستشهاد في سبيل الله في ذلك الوقت .

والحديث عن انفعال الخوف وتصويره في آيات القصص القرآني يطول جداً ؛ فقد احتل انفعال الخوف المساحة الأكبر بين الانفعالات الواردة في القرآن الكريم ، وقد اطلعت على رسالة ماجستير للأخت خولة توفيق السكني بعنوان "دوال الخوف ومدلولاته في القرآن الكريم"، عرضت فيها لمراتب هذا الانفعال و البنية التركيبية للخوف من حيث الأساليب الخبرية والأساليب الإنشائية والاستعارة والإطناب ونحو ذلك ، وتحدثت عن البنية الدلالية للخوف من حيث تدرجه والفروق بين كل درجة من درجاته ، وفي هذه الرسالة بيان واسع شامل لهذا الانفعال لمن أراد الاستزادة والتوسع [٢٥]، وختاماً فإني أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في إيراد جماليات تصوير هذا الانفعال.

---

٢٥) السكني ، خولة توفيق ، دوال الخوف ومدلولاته في القرآن الكريم ، الجامعة الإسلامية في غزة ، ٢٠٠٩ ، رسالة ماجستير ، إشراف :أ. د.محمد شعبان علوان .

المبحث السادس : الحزن وتصوير القرآن له

الحزن لغة : "الحُزْنُ والحَزَنُ: خلاف السرور وحَزِنَ الرجل بالكسر فهو حَزِنٌ وَحَزينٌ.وأحَزْنَهُ غيره وحَزَنَهُ أيضاً." [٢٦] وهو : "غلظة الشيء وخشونته وشدته ، فالحزن : الغليظ من الأرض والصعب من الدواب وخشن المعاملة من الناس " [٢٧]

وأما اصطلاحاً فهو : انقباض يصيب الإنسان بسبب فقده لعزيز، أو خوفه من فقده أو مفارقته بالموت أو السفر ونحو ذلك ، والحزن قد يكون على فقد الإنسان لما يملك ، وهو بمعناه العام أثر لوقوع مكروه أو همّ توقع نزوله أو حدوثه [٢٨].

ومثاله ما ورد في قول يعقوب عليه السلام لأبنائه حين طلبوا منه أن يوافق على إرسال يوسف عليه السلام معهم: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴾ (سورة يوسف الآية ١٣) وذلك لأنه عليه السلام يخاف من فقد ولده العزيز يوسف عليه السلام ، ولأنّ فقده ليوسف عليه السلام يحزنه جداً، فإنّ أي مسبب أو مقدمات لحصول هذا الفقد هي مما يحزنه أيضاً ، وهنا إشارة نفسية عميقة بأنّ الإنسان حينما ينفر من أمر معين يسبب له الحزن والضيق فإنه ينفر من كل ما يتصل بهذا الأمر من أسباب أو مقدمات توحي ولو من بعيد باقترابه أو تَحقّقه .

وقد يكون الحزن ناتجاً عن الكبت يقول الدكتور حسن الشرقاوي : " يرتبط الحزن عند علماء النفس المحدثين بالكبت ؛ إذ أنّ الكبت في تصوّرهم وظيفة وقائية تجنّب الإنسان ما يؤذيه وما يؤلمه، وهو حيلة دفاعية يلجأ إليها الإنسان لخفض درجة توتره وإخفاء ما يؤذيه ويكرهه ، فالحزن بهذا المعنى همٌّ وكمد يصاب به الإنسان عندما يقوم بكبت دوافعه النفسيّة "[٢٩]

---

٢٦) الصحاح في اللغة ، أبي نصر الجوهري ، (٢/ ١٥٤٣) .

٢٧) الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، العين ، تحقيق : عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الاولى ، بيروت ، ٢٠٠٣ م ، (١/ ٣١٣) .

٢٨) عضيمة، صالح ،مصطلحات قرآنية ، الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية ، بيروت ، ١٩٩٤ م ، صفحة ١٤٢ بتصرف يسير.

٢٩) الشرقاوي ، حسن محمد ، نحو علم نفس إسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة ، مصر ، ١٩٨٤.بتصرف يسير.

وهذا الكبت نجده مصوّراً في القصة القرآنية من خلال ما أصاب نبيّ الله يعقوب عليه السلام بسبب فقده لولده يوسف عليه السلام ، حيث إنه حزن حزناً شديداً وكبت هذا الحزن ولم يبح به لأحد من الناس حيث قال: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (سورة يوسف من الآية ٨٦)، ورافقَ هذا الكبت توكلٌ شديد على الله تعالى ، وتمسّك بحسن الظن به سبحانه وتعالى؛ حيث وجّه يعقوب عليه السلام بثّه هذا لله وحده وقصره عليه [٣٠].

وعرّف الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في كتابه مدارج السالكين الحزن على أنه: " توجع لفائت وتأسّف على ممتنع." [٣١] وبيّن كون هذا الانفعال من الانفعالات المحكوم عليها بكونها انفعالات سلبية في القرآن الكريم ؛ فلفظة الحزن لم تأتِ في القرآن الكريم إلا منفية أو منهيٌّ عنها: كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٣٩)، وقوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾ (سورة النحل الآية ١٢٧)، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾ (سورة النمل الآية ٧٠).

وبالعودة إلى بيان انفعال الحزن في آيات القرآن الكريم فإننا نجده دوماً انفعالاً سلبياً حتى ولو دلّ أحياناً ظاهر النص على غير ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾(سورة التوبة الآية ٩٢).

وبيّن الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى أنّ المدح في هذا المقام جاء لمسببات هذا الحزن وليس لذاته ، فالمؤمنون هنا لم يصبهم الحزن إلا لصدق إيمانهم ،وعجزهم عن الالتحاق بجيش العُسرة على الرغم من رغبتهم الشديدة بمشاركة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجهاد .

---

٣٠) المالكي ، جاسم غالي ، بحث : لفظة الحزن ودلالتها في القرآن الكريم ، مجلة آداب البصرة ، العدد ٥١ ، عام ٢٠١٠م ، صفحة ٧٨ ،نسخة إلكترونية .

٣١) الجوزية ، محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيّم ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٣م ، تحقيق محمد الفقي ، (٥٠٨/١) .

وهناك العديد من الأحاديث الشريفة التي تبين أنّ النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ من الهم والحزن وكان يُكثر من هذه الاستعاذة ؛ وما ذلك إلا لكون الحزن يؤذي الإنسان ويضعف همته ويبدد طاقته ، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى معللاً لهذه الاستعاذة ومفرّقاً بين الهم والحزن :

"الحزن قرين الهم ، والفرق بينهما أنّ المكروه الذي يرد على القلب إن كان لما يستقبل أورثه الهم ، وإن كان لما مضى أورثه الحزن ، وكلاهما مضعف للقلب عن السير مقتر للعزم."[١]

للعزم."[١]

ومما يؤكد أيضاً كون الحزن من الأمور السيئة والابتلاءات الممحصة في الحياة الدنيا هو قول أهل الجنة: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (سورة فاطر الآية ٣٤)، فالآية تبين أنّ الحزن من الأمور التي يتأذى منها المؤمن ، وما يرافقه من همّ وغم هو مما يطهر المؤمن ويرفع درجاته عند ربه .

وقبل الانتقال للحديث عن درجات انفعال الحزن ، أتطرق لذكر مظهر من مظاهر انفعال الحزن ورد في القرآن الكريم ،ولكن دون التصريح بلفظة الانفعال وهو خارج دائرة القصة القرآنية، وكما ذكرت سابقاً إن هذه الرسالة تتعلق فقط بتصوير الانفعالات التي دلّت عليها آيات القصص القرآني صراحة ، أما الآيات التي اشتملت على ما يدلّ على الانفعال بمفهومه لا منطوقه فهي في القرآن عديدة جداً ، وتحتاج لدراسة مستقلة بها ولم أجد من تطرق إليها ، ولا أستطيع كباحثة الخوض فيها لما تقتضيه طبيعة هذا البحث العلمي من ضرورة الالتزام ببعض الشروط ، وأسأل الله تعالى أن ييسر لي الشروع بدراسة مثل هذا النوع من التصوير للانفعالات النفسية أو ييسر للأمة من يبحث فيه ، وكتوضيح أورد ما ذكر في قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، فأمر الله تعالى نبيه بأن يقاطعهم تصوّر الآيات مقدار الحزن الذي اعتراهم حيث قال تعالى :

﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾(سورة التوبة الآية ١١٨)،حيث "تفيد (حتى) متلوّةً بـ(إذا) الشرطية الامتدادَ الزمني في استغراق الهمّ الذي طال، حيث خيّلت الأداتان للنفس أنّ هؤلاء الثلاثة الذين تخلّفوا عن الجهاد مع

---

١) مدارج السالكين ، ابن القيم الجوزية ، (٥٠١/١) .

الرسول صلى الله عليه وسلم ظلّوا في الضيق أمداً طويلاً، وهو زمن نفسي بالدرجة الأساس، وإلاّ فإنّ طول الزمن هنا ليس بالمعنى الفيزيائي، لأنّ ذلك لم يتجاوز الأربعين يوماً كما ورد في الروايات الصحيحة " [١] والهدف من إيراد هذا المثال هو إبراز أهمية وجود مثل هذه الدراسات التي تغني المكتبة الإسلامية وتنهض بها.

**** درجات انفعال الحزن :**

" الكمد وهو : حزن لا يستطاع إمضاؤه، والبثّ وهو : أشدّ الحزن ، والكرب وهو : الغمّ الذي يأخذ بالنفس ، والسّدم وهو : الهمّ في ندم ، والأسى واللهف وهو: الحزن على الشيء إن فات ، والوجوم وهو: الحزن الذي يسكت صاحبه ، والأسف وهو: الحزن مع الغضب ، والكآبة وهي : سوء الحال والانكسار مع الحزن ، والتّرح وهو: ضد الفرح"[٢].

وأما الدرجات التي حوتها الآيات الكريمة فهي :

أ) البثّ : " بَثَّ الشيءَ والخَبَرَ يَبُثُّه ويَبِثُّه بَثّاً وأَبَثَّه بمعنًى فانْبَثَّ: فَرَّقه فتَفَرَّقَ، وحضرني بثي أي: اشتد حزني "[٣] ووردت هذه اللفظة مرة واحدة في القرآن الكريم ، وذلك في قصة نبي الله يوسف عليه السلام حينما شعر يعقوب عليه السلام بالبثّ والحزن الشديدين لفقده ابنه كما بيّنت سابقاً وذلك حينما قال: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ (سورة يوسف الآية ٨٦).

ب) الكرب : "الكَرْبُ على وَزْن الضَّرْبِ ،وهو الحُزْنُ والغَمُّ الذي يأْخذُ بالنَّفْس وجمعه كُرُوبٌ"[٤] وورد ذكره أربع مرات في القرآن الكريم ، جميعها جاءت في معرض الحديث عن رحمة الله تعالى بعباده ، وإنقاذه لهم من كلّ همّ وحزن، حيث قال تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةٗ لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ

---

١) جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني ، صالح ملا عزيز ، صفحة ١٩٨

٢) فقه اللغة ، الثعالبي ، صفحة ٢١٣

٣) لسان العرب ، ابن منظور ، (٢/ ١١٤) .

٤) لسان العرب ، ابن منظور ، (١/ ٧١١) .

يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ (سورة الانعام الآيتين ٦٣-٦٤). وأما في القصة القرآنية فقد وردت هذه اللفظة في ثلاث مواضع مقترنة بصفة العظمة ،حيث تبين الآيات حماية الله تعالى لأنبيائه وأنه قد نجّاهم من كل ما أساءهم وآذاهم ، ونجّى كذلك من آمن من أهل الأنبياء ومن تبعهم بإحسان من المؤمنين في زمانهم ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (سورة الصافات الآيتان ١١٤-١١٥).

وأما الموضعان الآخران فقد وردا في قصة نبي الله نوح عليه السلام :

١) ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (سورة الأنبياء الآية٧٦).

٢) ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (سورة الصافات الآيتان ٧٥-٧٦).

وقد ذكر المفسرون عدة أوجه للمقصود بالكرب العظيم : فمنهم من قال إنّ معنى الكرب هو: الأذى والتكذيب الذي تعرّض له نبي الله نوح عليه السلام من قبل قومه ، حيث لبث فيهم قروناً يدعوهم لتوحيد الله تعالى ، وما زادهم ذلك إلا إعراضا ونفورا[١]، ومنهم من فسّر الكرب على أنه الطوفان العظيم الذي عذّب به الله تعالى قوم نوح عليه السلام ، وكان هذا هو رأي غالب المفسرين .

ج) الأسى : "أَسَّيْتُهُ تَأْسِيَةً، أي عَزَّيْتُهُ. وآسَيْتُهُ بمالي مواساةً، أي جعلته إسْوَتي فيه.ثمَّ سُمِّيَ الصبرُ أسىً.وائتَسى به، أي اقتدى،وهو الحزنُ أيضاً."[٢] .

ووردت هذه اللفظة أربع مرات في القرآن الكريم ، موضعان منها تعلّقا بنهي الله تعالى لرسله عليهم السلام عن الشعور بانفعال الأسى تجاه الفاسقين والكافرين من أقوامهم ، وذلك في قوله تعالى للنبي موسى عليه السلام: ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (سورة المائدة

---

١) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، الجزء الثالث، صفحة ١٧٢

٢) الصحاح في اللغة ، أبي نصر الجوهري ، (٢/ ١٦٥٣).

من الآية ٢٦)، وقوله تعالى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (سورة المائدة الآية ٦٨).

أما الموضع الثالث فقد جاء متعلقاً ببيان الله تعالى لعباده المؤمنين عن كون رزقهم في السماء معلوم المقدار يرسله الله تعالى لعباده في وقت معلوم وهيئة معلومة عنده سبحانه ، ويجب على الإنسان أن يطمئن لهذه الحقيقة فلا يأسى إن فاته أمر يظنّ هو فيه الخير الكثير ولكن الله تعالى منعه عنه لحكمة قضاها الله سبحانه وتعالى في كتابه .

أما الموضع الأخير الذي ورد فيه هذا الانفعال فهو ما ورد في قصة نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴾ (سورة الأعراف الآيتين ٩٢-٩٣).

تبيّن الآيات حالة نبي الله شعيب عليه السلام بعدما حلّ العذاب بقومه نتيجة لكفرهم وإعراضهم ، فالآيات تصوّر لنا من خلال خاصية الحركة الشاخصة التي يوحي بها فعل "التولّي"، تصوّر نبي الله شعيباً عليه السلام وهو يسير مبتعداً عن هذه البقعة من الأرض، والتي حلّ عذاب الله عليها فخلت من كل معالم الحياة وعمّ صمت الخراب أرجاءها ، وباتت متجردة من كل معاني الحياة ،وأثناء ابتعاده يحاور شعيب عليه السلام نفسه ابتداء ومن ثم قومه وكأنّه يحاول إغلاق هذه القضية في نفسه بقوله : "لقد أبلغتكم رسالات ربي" ويبرر سبب عدم حزنه أو أسفه على ما حلّ بقومه بقوله : "فكيف آسى على قوم كافرين" ، فأمثال هؤلاء ممن اختاروا طريق الضلالة والغواية وحاربوا أهل الحق يستحقون ما يحلّ عليهم من غضب الله تعالى وعذابه وينتهي المشهد بهذا السؤال من نبي الله شعيب وتُترك الإجابة عليه لمن اطلع على القصة وتدبّر آيات الله حق التدبر.

د) الأسف : " المُبالغةُ في الحُزْنِ والغَضَبِ ، وأَسِفَ عليه أَسَفاً أي غَضِبَ ، وآسَفَه أغْضَبَه والأَسِيفُ والآسِفُ الغَضْبانُ ،ورجل أسيف أي سريعُ البكاء والحزن وقيل هو الرقيق" [١]

---

١) لسان العرب ، ابن منظور ، (٩/ ٥) .

وقد تأتي بمعنى الغضب [١] ومثاله الوحيد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ (سورة الزخرف الآية ٥٥).

وورد الأسف في القرآن الكريم في خمسة مواضع ، واحد منها جاء بمعنى الغضب كما بينت سابقاً ، وأما المواضع التي جاء الأسف فيها بمعنى الحزن فما كان خارج دائرة القصص القرآني هو :

ما ورد في خطابه تعالى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (سورة الكهف الآية ٦)، ومعنى الآية أي : فلعلك قاتل نفسك أسفاً وحزناً عليهم، إن لم يؤمنوا بهذا القرآن، وما يستحق هؤلاء أن تحزن عليهم وتأسف[٢]وأما الأسف في القصة القرآنية فقد ورد في المواضع الثلاثة الآتية :

أ) في قول نبي الله يعقوب عليه السلام: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ (سورة يوسف الآية ٨٤) وهي صورة حيّة يعاينها المتدبر للآية فيكاد يرى ذلك الوالد المفجوع وهو شيخ كبير قد طال عمره وفجع بولده من قبل، والآن يفجع بأخيه فينزوي بصمت ، ويكبت شعوره بأعماق قلبه ، يتملكه الشعور بالهمّ والأسف ، وينطلق منه ذاك النداء الذي يستنزف القلب بإيقاعه الصوتي الممتد، ولا يدري أحد بكبته هذا سوى من خلال ما ظهر عليه من آثار جسدية بسبب هذا الحزن، فقد ابيضّت عيناه وفقد بصره من شدة البكاء تارة أو من المداومة عليه تارة أخرى، ولربما اجتمع عليه الحالين، والكظيم : مبالغة للكاظم . والكظم : الإمساك النفساني ، أي كاظم للحزن لا يظهره بين الناس ويبكي في خلوته.

ب) ما ورد ضمن قصة نبي الله موسى عليه السلام حينما أعلمه الله تعالى بما حصل لبني إسرائيل من ضلال وزيغ بعد ذهابه عنهم ، فأصابه الغضب الممتزج بالحزن وذلك

---

١) انظر قاموس إصلاح الوجوه والنظائر ،الحسين بن محمد الدامغاني ،تحقيق عبد العزيز الأهل ،دار العلم للملايين ، بيروت ،ط٤، ١٩٨٣م ، صفحة ٣٢

٢) انظر في ظلال القرآن ، سيد قطب ، (٤/ ٢٢٦٠) .

في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓ ﴾ (سورة الأعراف الآية ١٥٠) وقوله تعالى: ﴿ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ ﴾ (سورة طه الآية ٨٦).

وقد بينت تفصيل دلالة هذا التصوير في مبحث الغضب وتصويره الفني من قبل ، أما عن سبب هذا الاقتران بين الغضب والندم ، ففيه إشارة إلى أنّ الغضب الحاصل لدى نبي الله موسى عليه السلام لم يكن لهوى نفس أو امتناع مرغوب فيه ، وإنما كان لفوات مصلحة عظيمة تمسّ أمته وقومه ، وهذا الانفعال : أي الغضب الممتزج بالندم أو الأسف هو من الانفعالات المركبة في القرآن ؛ ومثل هذا النوع من الانفعالات يحتاج دراسة علمية مستقلة به عن غيره من الانفعالات بسبب اختلاف خصائصه ومسبباته.

هـ) درجة الحزن :ورد انفعال الحزن في آيات القرآن الكريم في اثنين وأربعين مرّة ، ثمان مواضع منها ضمن القصة القرآنية ، وجمع الدكتور جاسم غالي المالكي هذه الآيات وبيّن معانيها وفرّق بين السياقات التي جاءت فيها في بحثه : " لفظة الحزن ودلالتها في القرآن الكريم "[١] وهو بحث طيّب غنيّ ، يفيد من يريد الاستزادة في هذا المجال ، أما ما يهتم به هذا المبحث فهو تصوير انفعال الحزن الذي اعترى الشخصيات في آيات القصص القرآني وقد ارتبط كثير منها بآيات الخوف ، كقصة أم موسى عليه السلام حينما خافت وحزنت على فراق رضيعها، ونبي الله يعقوب عليه السلام حينما خاف وحزن على فراق طفله الصغير يوسف عليه السلام ، وقد حوى هذا المبحث في بدايته تصويراً لبعض الآيات المتعلقة بانفعال الحزن الواردة في القصص القرآني .

وفي ختام هذا الفصل يتبين دور التصوير الفني المهم في بناء ما يعرف بعلم النفس بالمناعة النفسية السليمة والتي تعني: " قدرة الإنسان على مواجهة الازمات والكروب ، وتحمّل

---

١) المالكي ، جاسم غالي ، بحث لفظة الحزن ودلالتها في القرآن الكريم ، مجلة آداب البصرة ، العراق، العدد الواحد والخمسين، ٢٠١٠ م

الصعوبات والمصائب ومقاومة ما ينتج عنها من أفكار ومشاعر سلبية كالعداوة والانتقام أو اليأس والعجز والانهزامية" (١)

ففي هذه الآيات نجد خطاباً للفرد وخطاباً للجماعة ، يواجه الإنسان في فرديته وفي انتمائه للجماعة وهو يخاطب كافة العقول والقلوب ، ويخاطب جميع الناس لتأسيس تصوّر خاص عن الكون قائم على أسس إسلامية ، ولتكوين مجتمع فريد في علاقاته ومدى ترابطه .

كما تبيّن مجموعة من الحلول والعلاجات المرتبطة بمشاكل المجتمع الواقعية ، وقد أتى بعض هذه الحلول على هيئة خطوط عريضة شاملة لأي عائق نفسي ، وبعضها ما هو متخصص بمشاكل محددة ، وهذه الحلول تأتي بحسب ما دلت عليه الآيات الكريمة على طريقتين:

أ) العلاج الفوري السريع : وهو بمثابة المسكن السريع لهلع النفس، وهو علاج فوري للنفس لتهدأ وتطمئن مبدئياً لتكون على استعداد لتلقي العلاج طويل المدى ، وهو متمثّل في الدعاء وذكر الله تعالى ومثاله قول يونس عليه السلام: ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (سورة الأنبياء الآية ٨٧).

ب) علاج طويل المدى : وهو عبارة عن تربية النفس وتجهيزها قبل وجود مؤثر يقلقها ، بما جعلها مؤهلة لتحمّل الشدائد وصقلها بحيث تصمد فور مواجهتها لمصاعب الحياة وهو ما نجده مبثوثاً في كافة الأوامر الشرعية التي تربي المسلم وتجهزه لحمل راية عمارة الأرض، وتبرمجه لمواجهة أي تحديات قد تعرقله ، فالمسلم يربيه الله تعالى في كل شأنه ، ليكون نموذجاً متكاملاً متزناً، ويؤكد على هذه القيم بتكرارها أحياناً في كل أيامه وطوال عمره ، ومثال ذلك ما تغرسه سورة الكهف من فضائل الأخلاق ومعالي التصرفات في ضبط الانفعالات ،من خلال قصة أدب طلب العلم وضبط انفعال الفضول في قصة نبي الله موسى عليه السلام أو ضبط انفعال الخوف من خلال قصة الفتية اللذين فرّوا بدينهم إلى الله ولم تخشَ قلوبهم الظلم والتجبّر بالرغم من حداثة سنّهم وغير ذلك كثير من الأمثلة والتوضيحات .

---

١) معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة ، سميح الزين ، صفحة ٢١١ بتصرّف .

ويندرج هذا النوع من العلاج في علم النفس تحت ما يسمّى بالمناعة النفسية المكتسبة: وهو ما يتحصّل لدى الإنسان من علم بسبب تجارب الإنسان وخبراته ومعارفه "وتشكّل لديه مقوّيات نفسيّة ، من شأنها تنشيط جهاز المناعة النفسي وتقويته، وكلما تعرض الإنسان للمشكلات أو العوائق فإن ذلك يكون أكثر فائدة في تنمية قدرته على التحمّل أو مجاهدة النفس واكتساب خبرات وتجارب جديدة، وتعتمد عملية كسب المناعة النفسية اعتماداً كبيراً على فعل الإرادة، وعلى عزم الإنسان في تصحيح طريقته في التفكير، وبذل أقصى ما يستطيعه من جهد لتنمية أفكار السعادة ومقاومة أفكار الشقاء " [١] .

---

١) معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة ، سميح الزين ، صفحة ٢١١ بتصرف .

الخـــاتـمــــــة

وختاماً فإني بعد استقراء الآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بالانفعالات النفسية ضمن القصص القرآني وبيان تصويرها الفنيّ وجماليات هذا التوصير ، توصلت في دراستي هذه إلى مجموعة من النتائج والتوصيات وهي :

أولاً : النتائج .

١. للقصة القرآنية أثر كبير في تشكيل قاعدة إرشاد نفسي للمسلم تحميه من عدم الاتزان أو الانحراف النفسي ، وتضبط له مسارات انفعاله ، ليتفق مع هذه القاعدة المعتمدة في أصلها على أصول قرآنية.

٢. إنّ وجود التصوير الفنيّ في القصة القرآنية أدى إلى إبراز الانفعال النفسيّ بأبلغ تركيب وأبهى صورة ، ما كان ليصل فيها إلى هذه الدرجة من السمو مع الإيجاز ،وإلى هذه الدرجة من الواقعية مع المثالية في الطرح والهدف .

٣. إنّ عملية توصيف الانفعالات النفسية بالاعتماد على المنظور الإسلامي بدت أكثر قرباً من العملية وإمكانية الاتباع والتطبيق حينما وردت داخل إطار القصة القرآنية، وتشبّعت بخصائص التصوير الفني؛ مما أبعدها عن دائرة النظريات الجامدة أو التلقينات الجاهزة ، ومكّن المتدبر للآيات من الحكم على هذا الانفعال من خلال ما يوحيه له هذا التصوير، وتوحيه له تصرفات شخوص القصة القرآنية ، فكان هذا بمثابة معلم فرديّ لكل متدبر ، يؤدبه ويؤصّل في داخله منظومته التي شكلها هو بنفسه ، وهذه الوسيلة قطعاً هي أنفع وأعمق في توجيه السلوك النفسي للإنسان.

٤. قسّم تصوير انفعال الغضب في آيات القصص القرآني هذا الانفعال إلى جانبين :

أ) جانب إيجابي للغضب ،وهو ما كان سبب حدوثه الانتصار لدين الله تعالى وحماية شريعته من كل أذى .

ب) جانب سلبيّ للغضب ، وهو ما كان انتصاراً للذات وأدى بصاحبه للخروج من دائرة التوازن الانفعالي وسبب له أو لغيره أضراراً مادية أو معنوية ، وبيّن هذا التصوير ببلاغته وحسن تراكيبه كيفية التعامل مع كلا الجانبين من خلال ما جاء من توصيفات للانفعال في هذه الآيات .

٥. ورد تصوير انفعال الخوف ضمن آيات القصص القرآني على هيئة تبين درجاته المتعددة، وتظهر السياقات التي وردت فيها أهم ما بينها من فروقات ، وساهم هذا التصوير بإبراز الجوانب النفسية العميقة المرتبطة بهذا الانفعال .

٦. ورد تصوير انفعالي الفرح والسخرية في آيات القصص القرآني على هيئة تشكّل للمتدبر لآيات الله تصوراً واضحاً عن الفرق بين الفرح الإيجابي ودوافع تشكله، وبين الفرح بمعناه السلبي وهو البطر وآثار تشكّله على الفرد والأمة، وبيّنت ما يحمله انفعال السخرية أو التهكم من ظلال سلبية تؤثر على الفرد والأمة بصورة تضعفها .

٧. تمّ تصوير انفعال الندم في آيات القصص القرآني بطريقة تتيح للمرء تشكيل تصوّر واضح عن هذا الانفعال ،من حيث : مسبباته ، وآثاره ، وكيفية التعامل معه بإيجابية .

٨. تم تصوير انفعال الحزن في آيات القصص القرآني على أنه انفعال سلبي دوماً ، بحيث لم يرد إلا منفياً أو مرتبطاً بنهي ، وذلك لما لهذا الانفعال من أضرار جسيمة على الفرد وعلى الأمة، ولما يؤديه من وهن في نفس الإنسان وهمته ، فيمنعه من القيام بما يعود عليه وعلى غيره بالنفع والخير.

٩. يقوم التصوير الفنيّ للانفعالات النفسية في آيات القصة القرآنية على عدة خصائص منها :

أ) خاصية التخييل الحسيّ للانفعال ، وذلك إما بالتخييل التشخيصي للانفعال كقوله تعالى : "ولمّا سكت عن موسى الغضب " أو من خلال التخييل الحاصل بسبب التعبير بألفاظ توحي بالحركة ومثاله ما يخيّله الفعل في قوله تعالى : "فأصبح في المدينة خائفاً يترقب"

ب) خاصية التناسق الفنيّ في تصوير الانفعال :

وله عدة أشكال منها :

١) التناسق في تأليف العبارات ونظمها

٢) التناسق في الإيقاع الصوتيّ للمفردة

٣) النكات البلاغية .

ج) خاصية إعطاءالحياة الشاخصة للانفعال .

د) خاصية الحركة المتجددة للانفعال .

وساهمت هذه الخصائص في إبراز مظاهر الانفعال النفسي وأسبابه ومظاهره بطريقة فريدة وفي غاية البلاغة والإيجاز .

ثانياً : التوصيات .

توصّلت إلى عدة توصيات هي :

أ) حثّ طلبة الدراسات العليا على التوجه لمثل هذا النوع من الدراسات التي تجمع بين العلوم النفسية الحديثة والعلوم الدينية الشريفة حيث وجدت قلّة في المصادر والمراجع التي تحاكي موضوع رسالتي ؛ حيث أن غالب كتب علم النفس قائمة على أسس وقواعد غربية لا تمت للأصول الإسلامية بصلة بل هي قائمة على علم التجريب والمشاهدة ، والأحرى هو إنشاء مثل هذه القواعد للإرشاد النفسي بحيث تكون قائمة على ما في القرآن من شفاء وهدى .

ب) ضرورة الكتابة في موضوع التصوير الفنيّ للانفعالات النفسية التي لم يرد ذكرها مباشرة في آيات القرآن الكريم إنما ما دلّ عليها هو وجود إشارات لفظية معينة مرتبطة بهذا الانفعال، فرسالتي تتعلق بالانفعالات التي وردت صراحة في الآيات وهذا جزء من مبحث أوسع ، قد يؤدي تكاملهما معاً إلى تشكيل ما يعرف بقاعدة الإرشاد النفسي الإسلامي القائم على التصوير الفني في القرآن .

ج) أهمية البحث في أثر السياق على تصوير الانفعال النفسي ، وأثر مكية السورة أومدنيتها على طبيعة الانفعالات الواردة في السورة وطبيعة تصويرها .

د) أهمية البحث في الانفعالات المركبة الواردة في القرآن الكريم ، كالغضب المقترن بالأسف أو الخوف المقترن بالحزن ونحو ذلك .

المصادر والمراجع

١. ابن عاشور ، محمد الطاهر ، (١٩٩٧) ، **تفسير التحرير والتنوير** ، تونس : دار سحنون للنشر والتوزيع .

٢. ابن فارس ، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت : ٣٩٥) ، **معجم مقاييس اللغة** ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي : بيروت ، لبنان ، ٢٠٠١ م

٣. ابن كثير ، أبي الفداء إسماعيل (ت : ٧٤٤ هـ) ، **تفسير القرآن العظيم** ، الطبعة الأولى ، دار الغد الجديد ، مصر : ٢٠٠٧

٤. ابن منظور ، أبي الفضل جمال الدين بن محمد (ت : ٧١١ هـ) ،**لسان العرب** ، الطبعة الأولى ، دار صادر : بيروت ، لبنان .

٥. أبو مرق ، جمال زكي عبد الله ، (٢٠٠٣ م) ، **سيكولوجية الإنسان في القرآن والسنة**، الطبعة الأولى، الخليل : مطبعة الرابطة

٦. الأشقر ، عمر سليمان ، (١٩٩٩م) ، **الرسل والرسالات** ، ط٨ ، عمان : دار النفائس للنشر والتوزيع

٧. الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت : ١١٠٨هـ)، **المفردات في غريب القرآن** ، مكتبة نزار مصطفى الباز : مكة ، المملكة العربية السعودية.

٨. البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت : ٥١٠ هـ) ،**تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل** ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة : بيروت ، ١٩٨٦م

٩. بني يونس ، محمد ، (٢٠٠٩م) ، **مبادئ علم النفس** ، الطبعة الأولى ، الأردن : دار الشروق للنشر والتوزيع .

١٠. الثعالبي ، أبي منصور عبد الملك بن محمد (ت : ٤٢٩ هـ)، **فقه اللغة** ، الطبعة الثالثة ، المكتبة العصرية : بيروت ، ٢٠٠١ م

١١. الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت : ٨١٦ هـ) ،أسرار **البلاغة** ، دار الجيل : بيروت ، ١٩٩١م .

١٢. الجوزية ، محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيّم (ت : ٧٥٢ هـ) ، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،** الطبعة الثانية ، تحقيق محمد الفقي ، دار الكتاب العربي: بيروت ، ١٩٧٣م .

١٣. الجوهري ، أبو نصر اسماعيل بن حماد ، (١٩٩٨م) ، **معجم الصحاح** ،الطبعة الأولى ، بيروت : دار الفكر .

١٤. الجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد ، (١٩٩٠م)، **تاج اللغة وصحاح العربية** ، الطبعة الرابعة ، بيروت : دار العلم للملايين .

١٥. حجازي ، محمد محمود حجازي،(١٩٧٠)، **الوحدة الموضوعية في القرآن** ، الطبعة الأولى، القاهرة : دار الكتب الحديثة .

١٦. الخالدي ، صلاح عبد الفتاح ،(١٩٨٣م) ، **نظرية التصوير الفني عند سيد قطب** ، الطبعة الأولى ، عمّان : دار الفرقان .

١٧. الخضري ، محمد الأمين ،(١٩٨٩م) ، **من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم** ، الطبعة الأولى ، القاهرة : مكتبة وهبة .

١٨. الخطيب ، عبد الكريم ، (١٩٧٤) ، **القصص القرآني في منطوقه ومفهومه** ، دار الفكر العربي : القاهرة .

١٩. الدامغاني ، الحسين بن محمد (ت : ٤٧٨ هـ) ، **قاموس إصلاح الوجوه والنظائر** ، الطبعة الرابعة ، تحقيق : عبد العزيز سيد الأهل ، دار العلم للملايين: بيروت ، ١٩٨٣م .

٢٠. دراز ، محمد عبد الله ، (١٩٧٠ م) ، **النبأ العظيم** ، الطبعة الثانية ، الكويت : دار القلم.

٢١. الدقور ، سليمان بن محمد الدقور ، (٢٠٠٧ م) ، **القصص القرآني أهدافه وخصائصه ومنهجه** ، الطبعة الأولى ، عمّان : دار الفضيلة .

٢٢. ديكارت ، رينيه ،(١٩٩٣م)، **انفعالات النفس** ، ط١ ، بيروت : دار المنتخب العربي .

٢٣. رضا ، محمد رشيد ، (١٩٨٤م) ، **تفسير المنار**، الطبعة الأولى ، دمشق : المكتب الإسلامي .

٢٤. الزبيدي ، محمد مرتضى ، (١٩٨٦م) ، **تاج العروس** ، تحقيق :عبد الفتاح الحلو ، الكويت : مطبعة حكومة الكويت .

٢٥. الزين ، سميح عاطف ، (١٩٩١م) ، **علم النفس : معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة** ، الطبعة الأولى ، بيروت : دار الكتاب اللبناني .

٢٦. سرسيق ، إبراهيم محمد ، (١٩٨١م) ، **النفس الإنسانية في القرآن الكريم** ، الطبعة الأولى ، جدة : مطبعة تهامة .

٢٧. السكني ، خولة توفيق ، ٢٠٠٩ ، **دوال الخوف ومدلولاته في القرآن الكريم** ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، فلسطين .

٢٨. الشرقاوي ، حسن محمد ، (١٩٨٤م) ، **نحو علم نفس إسلامي** ، مصر : مؤسسة شباب الجامعة.

٢٩. الشعبيني ، محمد مصطفى ، (١٩٦٣م) ، **مقالات في علم النفس** ، الطبعة الثانية ، مصر : مكتبة النهضة المصرية .

٣٠. الشنقيطي ، محمد الامين بن محمد ،(١٩٩٥م) ،**تفسير أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن** ، بيروت : دار الفكر .

٣١. الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت : ٣١٠هـ) ، **جامع البيان**، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي : بيروت ، ٢٠٠١م .

٣٢. العادلي ، راهبة عباس ، (٢٠١٠م) ، **الانفعالات نموّها وإدارتها** ، الطبعة الأولى ، العراق : مكتب اليمامة للطباعة

٣٣. عضيمة ، صالح ، (١٩٩٤م) ، **مصطلحات قرآنية** ، بيروت : الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية .

٣٤. الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (ت : ١٧٠هـ)، **العين** ، الطبعة الاولى ، تحقيق : عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية : بيروت ، ٢٠٠٣ م .

٣٥. الفرماوي ، حمدي علي ، (١٩٩٦م) ، **البناء النفسي في الإنسان : دراسة من فيض القرآن الكريم** ، القاهرة : مكتبة زهراء الشرق .

٣٦. الفيروزأبادي ،مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب (ت : ٨١٧هـ) ، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** ، تحقيق : محمد النجار ، لجنة إحياء التراث الإسلامي : القاهرة ، ١٩٦٣م

٣٧. القرطبي ،أبي عبد الله محمد بن أحمد (ت: ٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن** ، الطبعة الأولى ، تحقيق : سالم البدري ، دار الكتب العلمية : بيروت ، ٢٠٠٠م

٣٨. قطب ، سيّد ، (٢٠٠٦م) ، **التصوير الفني في القرآن** ، القاهرة : دار الشروق .

٣٩. ________ ، (٢٠٠٦م) ، **في ظلال القرآن** ، القاهرة : دار الشروق .

٤٠. المالكي ، جاسم غالي ، (٢٠١٠م) ، **بحث : لفظة الحزن ودلالتها في القرآن الكريم** ، بغداد : مجلة آداب البصرة .

٤١. مصطفى ، إبراهيم عبد الرحيم ،٢٠٠٩، **الانفعالات النفسية عند الأنبياء** ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، فلسطين .

٤٢. ملا عزيز ، صالح ، ٢٠٠٥م ، **جماليات الإشارة النفسية في الخطاب القرآني** ، دمشق: منشورات إتحاد الكتاب العرب .

٤٣. الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة ، (١٩٩٢ م) ، **أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع**، بيروت: دار القلم .

٤٤. النبراوي ، خديجة ، (٢٠٠٢ م)، **مشكلات نفسية للإنسان "بحث مستقل من رسائل النور للإمام سعيد النورسي"** ، الطبعة الثانية ، مصر : دار سوزلر للنشر .

تم بحمد الله

PSYCHOLOGICAL EMOTIONS IN THE QURANIC STORIES AND THEIR DEPICTION

By

Alaa Mahmoud Abo arab

Supervisor

Dr.Sulyman Al dgoor

ABSTRACT

This study is about artistic representation for psychological interactions mentioned in the Holy Quran. It discussed the importance of "Artistic Representation Theory" by Sayed Qutob - Mercy of Allah be upon him - and its properties to focus on the beauty of representation for psychological interactions in Quranic stories and the effect of this representation on determining the features of these interactions.

It also contains the definition of psychological interactions, there types and forms in general.

This study is limited to five types of interactions mentioned in the Holy Quran, which are fear, anger, regret, joy, sarcasm and sorrow.

This study was concluded by several results; the Holy Quran represented the psychological interaction in a manner that showed human the way to psychological health in order to achieve the purpose of his creation, which is; constructing earth.

There interactions were demonstrated in a precise deep manner that defined the positive interactions and the way to deal with it. It also defined the negative interactions ,how to improve them and get rid of them .